

إِكْفَرْتُ أَهُوَ وَسَائِلَ تَقْرِنَا الْعِلْمَيْ

الدكتور عبد الغني ماجد السروسي

نفضل الاخ الدكتور فاتح عف «السان العربي» بهذه المحاضرة القبمة التي
القاها في المؤتمر العربي السادس لطب الاسنان ببغداد ونحمد الله شاكرين :

ولا يضيق منه الزر مختنقًا
ولا يصيغ أيضًا عند سخطه
هذا العلاج ومن يعلم به سيرى
آثار خبر ويكتفي أمر منه

انها شكوى مريض ... وصفة طبيب لم تكتب
بالصيغة اليونانية ولا السريانية ولا الفارسية وانما
كتبت باللغة العربية ... وبكلفة الاحساس المرهف بلغة
الشعر ... لقد كان ابن سينا على علم باللغات
الامامية ولكنه لم يصف ملاجه الا بالتعابير المزيفة
التي اتقن علمها بها وخبر كتبه فيها نترجمت الى معظم
لغات العالم وظلت زهاء ستة قرون المرجع العالمي في
الطب ، واستخدمت كأساس للتعليم في جامعات
فرنسا وإيطاليا وظلت تدرس في جامعات مونبلبيه
حتى اواخر القرن التاسع عشر ١٠٠٠

وانه من دواعي البشر ان استوحى من كلمات
طبيبي العظيم القوة على معالجة موضوع نحن في
امس الحاجة اليه انه تعرّيب مصطلحاتنا الطبية وان
ثبتت نقل نقل علومنا الطبية . وقد كان لي شرف
الثول على هذا المنبر في مؤتمرین اثنین الاول في
بيروت والثانی في همان وقد ادخلت فيها التوصيات

شكا الوزير ابو طالب العلوی آثار بشر في جبهته
الى الحكيم ابن سينا ونظم شکواه شمرا وانده اليه :

منيعة الشیخ مولانا وصاحبہ
وفرس انعامہ بل نشه نعمته
يشکو اليه ادام الله مدد
آثار بشر تبدی فرق جبهته
فامنن عله بحسم الداد مفتنه
شكرا النبي له مع شكر مترنه

فأجاب الشیخ الرئيس من ایاته ووصف في
جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

الله يشفی وينفعی ما بجهته
من الاذى ويمانیه برحمته
اما العلاج فاسهال يقدمه
ختمت آخر ایاتی بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من
دم القدال ويفتنی من حجامته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا
يدنى اليه شرابا من مدامته
والوجه يطلبی ماه الورد معتصرًا
نبه الغلاف مدانًا وقت هجعته

نعتمد في رأينا واقوالنا وسلوكتنا على ما رأينا وسمينا
في امثالها وتناسى ما لنا من تقاليد وعادات .. ولعل
لؤلؤة البعض عذرهم ان ننكرها للدواتهم ... بيد انه
لا مطر لهم ابدا ان هم واذروا بين مستوى الامة التي
درسوا منها او فيها ... وبين مستوى بلادهم لأن
عليهم رسالة يجب ان يبذلوها الى اهليهم والى وطنهم
والى شعبيهم ، وامر ما في هذه الرسالة هو نقل
العلوم التي اختصوا بها الى لسانهم الاصلي ليبنيوا مع
البنائين لبناء حضارتنا العربية وستكون باذن الله
منارا للانسانية ورحمة للعالمين ...

واني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل
بتراك راسه حيث تعلم وقدمه حيث يعيش ...
وانه لن الغريب حقا ان يتذكر احد لفته وينظر من
تاريه ومقصاته ويتراك الياس يدب الى قلبه يوهن
من عراله يتألف ويتصحر ولا يضع العولون البناء
التي تخرجنا مما نحن فيه والله در شوشى جبن
نسال :

مثل القوم نسوا تاریخهم
كقطط مي في الناس انسابا
او كمثروب ملىء ذاكرا
بشتكي من صلة الماضي التشبّبا

واني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل
دراساتهم بلغة اجنبية ان يمارسوا الترجمة والترجم
وان يتبعوا احساسهم بتدوين مصطلحات لغتهم العربية
ليكون مجهودهم شيئا مفيدة مظياها واني اعتقد ان
من واجبهم ان يترجعوا كما ان من واجب الدولة ان
تشتتى منهم المترجمين البرازيليين لتدفع روابط سخيبة
كما كان أيام الملونون فيمحكم هذه انه كان يدفع روابط
خيالية لكتاب المترجمين، الا يقال ان راتب كل من حنين بن
اسحق وحبش الاسم وثبت بن قره بلغ خمسمائة
دينار في الشهر، وهو مبلغ لا تقاد تصوره لترجم
حتى يومنا هذا : ويقول ايضا الله كان يوزع في كل
اسبوع يوم الثلاثاء جوالر من الاعمال العلمية والأدبية
المتازة . واصبحت الكتابة والافتخار بالعلوم والأداب
من اعظم المهن حتى تقد داع المثل القائل : الكتابة
اشرف المهن بعد الخلافة .

لقد سمعتم حتى الان محاضرات عديدة باللغة
العربية ، فهل شعرتم بفراية او استهجنتم احداها
ام انكم وجدتم فيها لذة ومتنة وونما محبا الى
نوسكـم .

والقرارات التي تناسب ما نحن بصدد بحثه آنذاك
على ان تلزم به الحكومات العربية وتنقذ الملل
المؤدي اليه والى حسن تنفيذه ..

ودارت الأيام وافت اليوم للمرة الثالثة لا لاردد
ما قلته في المرة الأولى على لسان النبي :

ولكن الفتن الصربى فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملامب جنة لو سار فيها
ليمان لسار بترجمان

ولكن لا قول كلامي في هذا الشأن يحفزني الى
القالهاعروبة جبلى بدمى وايمان بان الفرصة ملائمة
ليكون لاعباء الاستاذ العرب اول منطلق لهم نحو
تأمين نقل علومهم بالجهد والصبر والتنظيم فتحاصلوا
 بذلك حدو الاقوام التي تحرم نفسها وتحافظ على
لثتها وكرامتها .

واحمد الله ان سهل لنا هذا اللقاء الاخوي
فالله بين قلوبنا وقابل بيننا لتبادل الرأي وتناول
البحث والمشورة ، فندنى اليها علم الإنسانية ليكون
عونا لثنا على خدمة شعبنا من هنت المرض وصلة الداء .
ولتكن الساعات كيف يمكن ان ندنى علم الإنسانية
اليينا ؟

وكيف يمكن ان نأخذه وننقله ونتفاعل معه
ونبتكر فيه ؟

ان الامر ميسور لتحقيق ما نسائله فقد اقام الله
على امتنا العربية بكثير من العلماء الانساد الذين
اقتناوا علومهم في وطنهم واحتضروا بجهدهم في البلاد
الاجنبية وقدرت لهم المساعدات المستطاعة لبطقوسا
الشعار الضروري لهضة علمنا العربي وليكونوا اهلا
للبحث والارشاد .

وهي الرغم مما يظهره بعضهم من كبريات
وصلف على ثقافات غيره ، وادعائه بأن يكتفى بالنهل
الذي نهل منه ، على الرغم من كل ذلك فهناك ثلة
واعية لمتطلبات وطنها وحاجاته ، تزود ان لا تتأثر
شخصيتها الى الحد الذي يفقدها اصالتها لدرس
بعض سنين في بقعة من هذا العالم لا يغير لها ان

الا تعمتون معنی ان تكون لكم القدرة على الاداء
ب بهذه اللغة العجيبة ؟، قولوا بربكم الم تمارج نفوسكم
وتهنووا اليه اندلتم ؟

لما نظر الى جميع اعضائها الظاهرة ولم ير
فيها آفة ظاهرة . وكان يرى مع ذلك المعللة قد شملتها
ولم يختص بها مرض دون عضو . وقع في خاطره ان
الآفة التي نزلت بها ، إنما هي في عضو غالب من
العيان ، مستكنا في باطن الجسد ، وإن العضو لا
يفني عنه في فعله شيء من هذه الاعضاء الظاهرة .
لما نزلت به الآفة همت المفرة وشملت المعللة ، وطبع
لو انه عشر على ذلك العضو وأزال ما به ، لاستقامت
احواله وفاض على سائر البدن نفعه ، وعادت الانفعال
إلى ما كانت عليه ...

فجزم على شق صدرها وتقبيلها وتفتيش ما فيه ، فاتخذ
من كسور الاحجار الصلدة وشقوق القصب البابسة ،
اشباء السكاين وشق بها بين اضلاعها حتى تقطع
الحاجب الذي بين الاضلاع . والقضى إلى الحاجب
المستطعن للأوضاع فرأه قويًا ، فقوى ظنه بأن مثل
ذلك الحاجب لا يكون إلا لتشل ذلك العضو بأنه اذا
تجاوزه لقي مطلوبه فحاول شقه ، فصعب عليه لمد
الالات ولأنها لم تكون الا من العجارة والتسبب
فاستجد لها ثانية واستخدمنا وتنطط في خرق العجاجب
حتى التخرج له ، فالقضى إلى الرئة فظنن اولا انها
مطلوبه لما زال يقلبها ويطلب موضع الآفة بها ...

وجريدة القلب لرأه مصمتا من كل جهة ننظر هل
يرى فيه آفة ظاهرة ؟ فلم ير فيه شيئاً نشد عليه يده
لتبيين له ان فيه تجويفا ، فقال لعل مطلوبين الاقصى
انما هو في داخل هذا المرض وانا حتى الآن لم اصل
إليه فشق مليء فرأى فيه تجويفين اثنين : احدهما
من الجهة اليمنى والآخر في الجهة اليسرى والذي في
في (الجهة) اليمني معلوم بطلق منعقد والذى في
(الجهة) اليسرى خال لا شيء فيه فقال :

لن يمدو مطلبى ان يكون مسكنه هذين
البيتين

... إنما وردي الجرالة والفصاحة والعلم ، فما
احتل هذا العروس والقوى هذا البيسان وانشقت هذه
المعانى ، فهل تركت هذه اللغة القوية لتلحق بالرطانات
الاصحيمية . فتعالوا يا اخوانى لترجم الى نصائحنا
لبعضها الغير المعيم ؟

نحن لم نعد الرجال المخلصين والعلماء النابغين
من ذوى الاناء والمهدى البعيد الذين قدموا الحلول
البناءة ليأخذ العلم العربى مجرأه ويصبح مسايرا

اننا وایم الحق يجب ان نعرف واقع لفتنا
الى هو استمرار الواقع لغوي سبقه منع وجود
اختلاف هين بين كل الاقطعين ، شأن الكائن الحى
المتطور يفيد من تقدم الزمن ، ومن صلاته بالآخرين
وأؤكد لكم ضرورة رهابة هذا الواقع اللغوى فى الوطن
العربى وتناوله بالدراسة على ضوء ما سبقه مما ورد
موسوعنا فى المراجع لتكتمل بذلك حلقات اللغة
الى الفصحى ، ونحس نحن العرب اننا امة ينبغي ان تعتز
بسماعها اذا كانت تزيد ان تعرى في حاضرها وتؤمن
بان الفصحى التي حملها العرب الاولون لي penetروا بها
اوطنانا وينزروا بها ثبات ووطانات فى الشرق والغرب
من الرابطة الوحيدة التي يمكن ان تجمع العرب فى
كل مكان ، وقد أورد المفكر الفرنسي الكبير الاستاذ
جاك بيرك فى محاضرة له على مدرج جامعة دمشق
خلال شهر تشرين الثاني 1967 قوله « ومن الثوابت
ايضا اللغة واقول : ان التفسيرات الانتصارية اذا
كانت تذكر أهمية اللغة ، فليس ذلك ممكنا لواحد مثل
ماش مع الحضارة العربية ، ووجد ان اللغة المريمية
تضمن منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اليوم البنى
ذاتها ، تلك البنى اللغوية التي هي في الوقت ذاته
بني معمونية او خلقية واجتماعية فمن حق المجتمعات
العربية ان تكافح فى سبيل العطاء على لفتها الاصيلة
بصورة خاصة . وما يمسكها بهذه اللغة الا نوع من
التعلق بما اسميه الثوابت التي تمكنا من اجراء بعض
التبدلات حسب ضرورات كل مصر » .

اسمحوا بدعوكم لسماع نص مغير لوصف
تشريع الفرالية فى كتاب حى بن يقطان لابن الطبلة
الاديب والطبيب الاندلسي اذا يقول :

(فصار لا يدنو اليه شيء منها سوى الطيبة
الى كانت ارضعه وربته ، فانها لم تفارقه ولا فارقها
الى ان است وضفت ، فكان يرشد بها المراعي
المحبة ، ويحيى لها الشمرات الحلوة وبطعمها .

وما زال البر والضعف يستولي عليها ويتوالى
الى ان ادركها الموت ، فسكتت حركاتها بالجملة
وتعللت جميع عمالها ...

اجنبية واحدة على الاقل تساعدنا على متابعة العلم وتطوره . والعمل على تنسيق نظم التدريس بين مختلف البلاد العربية وتبادل المدرسين بين البلاد العربية حسب الامكانيات وايجاد اتحاد لكليات الطب في البلاد العربية يسمى الى تحقيق هذه التوصيات .

لا تتحقق هذه التوصيات بالنسبة لنا الا بتوحيد جهودنا على مستوى وطننا العربي الكبير وعلى الخصوص البلاد التي تملك كليات طب الاسنان وذلك بانشاء مؤسسة علمية لطب الاسنان لأنها ضرورة من ضرورات بحثنا العلمي الحديث لأن عدداً كبيراً من العلماء في شتى أنحاء العالم يتشارون فيما ضخماً من المعلومات حول ابحاثهم . وهذه المعلومات ترسل عادة على شكل تقارير ونشرات واوراق ومقالات ومجلات ، وان تطور بحوثنا وشعبها جمل الاطلاع على ما يجري من ابحاث البلدان الأخرى ضرورة لأبد منها ، هذه الضرورة بالذات تدفعنا الى وضع برنامج خاص بالترجمات العلمية ، حتى يتسع للمترجمين ترجمة هذا السيل من الابحاث العلمية الواردة من الجامعات العلمية من الشرق والغرب على السواء . ولا اكون مخطئاً اذا قلت انه لا يصلح علم آخر هذه الامة الا بما يصلح به علم اولها فان دار الحكمة التي انشأها المأمور التي كانت مكتبة ومؤسسة للترجمة كانت اجمل هدية تتفق ومزاج الجمهور العربي في ذلك التاريخ . ونعلم ان دور الكتب العربية في ذلك الوقت نمت في كل مكان نحو المشتب في الأرض الطيبة في عام ١٨٩١م احسن مسافر هذه دور الكتب العامة في بغداد بأكثر من مئة . وبدأت كل مدينة تبني لها داراً للكتب يستطيع اي انسان استعارة ما يشاء منها وأن يجعلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد ، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خصمت لهم يتجاذبون ويتنافسون كما يحدث اليوم في ارقى الاندية العلمية .

فمكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق كانت تحوى في القرن العاشر او بعده الف مجلد بينما لم تحو اديرة الغرب سوى التي هشّر كتاباً وربطت بالسلال خشية غيابها . وكان لكل مسجد مكتبة خاصة ، بل انه كان لكل مستشفى يستقبل زواره قامة صفت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور تباع لتكون مادة لدراسة الطلاب ومرجحاً للاطباء ، يقفون منه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث . ناين هي تلك المكتبات الحائلة بالكتب العربية ... الكتب التي لم تكون مطبوعة على آلة بل

لنهضة العلم العالمية فاقروا مبدأ الترجمة والتعريف وترجموا حسب امكانياتكم الفردية مصطلحاتنا العلمية واستنكروا تلك المصطلحات التي تعود الى اللغة العربية تصورها من احياء كلمات تترجم مع هذه المصطلحات او توليد كلمات لها معانٍ تليبي حاجة تطور العلم الذي يطالبنا كل يوم باختراع جديد وكشف حديث .

ومن نافلة القول ان نتجاهل واتعنا اللسوى الحال واقع العربية الفصحى التي نصوغ بها شعرنا ونشرنا وحديثنا الجاد وحياتنا الراقية ، العربية التي فرست وجودها منه وجدت واستوت على المثال الذى ندرسه ونطقه فمنذ فجر التاريخ هذه اللغة لم ينقطع حتى الان استعمالها من الانس الناطقة بالقصد وساعد على استمرار هذا الوجود ذلك التراث الادبي العظيم وفي قمته القرآن الكريم ، لكم العجزة البيانية الخامسة التي تكللت للفصحى دوامها وبقاءها بدلاً من تفرقها الى لغات شتى ، كما منحتها استقراراً في السورتين اللغوية والتعبيرية على مدى القرون وليس من المقبول ان يقال بأن حديثنا العربي لغة متقلقة مصنوعة بل هو عادة وسجية تناولتها يد التعليم والتربية بالتهذيب والتعديل فهي عملية لأبد منها لكل ناطق بلغة حية . فالانكليزي مثلاً يتقن من أبويه لغة الحديث الجارية ولكنه يهدب نطقه ويقوم لسانه في مراحل التعليم المختلفة ليستطيع دراسة آداب لغته ومواصلة البحث العلمي بها .. ولا يمكن القول بأن الطريقة التي يلتقطها الطفل في الريف الانكليزي هي الصورة المثالية لنطق الانكليزية التي يريدها المجتمع الانجليزي لغفته وللناطق بها ، وكذلك اللغة الروسية والفرنسية والالمانية وغيرها . ولا يمكن القول بأن اللغة المدرosa في معاهد التعليم هناك مصنوعة متقلقة لمجرد اختلاف ما بينها وبين سابقتها .

لا احب ان يفهم من قوله اني امج تعلم اللغات الاجنبية ولكنني احب ان اقر ان المسؤولية ملحة للاقنان اللغات على اختلافها وان تدرس كلها لانسجام مداركنا وابحاثنا العلمية التي شاعت مياهاها وهي بحاجة الى رواهد .

طالعت في الصحف من زمن قریب توصيات اللجنة الصحية الدائمة لجامعة الدول العربية لكان من جملة هذه التوصيات ان تهيء الدول العربية جميع الاجرامات الكفيلة بجعل اللغة العربية لغة التعليم الطبيعي ويسعى المجال لطالب الطبع لاقتان اللغة

يحدث فيه اكبر عدد من العلماء المختصين بالترجمة ولابد من ايجاد جمادات تتكلم لغات اجنبية متعددة نستطيع ان نترجم ممداً كبيراً من الوثائق والابحاث الاجنبية . وان يكون هؤلاء المترجمون في مستوى علمي لا يقل عن مثيلهم في البلاد الأخرى.

ولما كان من الصعب ان يوجد هالم واديب في آن واحد ، ومن الصعب ايضاً ان يوجد مترجم مارس البحث العلمي في لفتيين مختلفين في آن واحد لهذا السبب فان مخطوطه الترجمة بعد ان ينتهي منها الترجم يجب ان تتحول الى قسم التحرير لينظر فيها قبل ان تدفع الى المطبعة ثم تمر على قسم التحرير العلمي حيث يعاد النظر بالتعابير العلمية التي تتطلب الدقة وقد يستدعي الترجم للأدلة بعض الإضافات والاتفاق معه على المصطلحات منها تحول المخطوطة الى القسم الادبي حيث تجري التصححات بالاتفاق بين كل من المحرر الادبي والعلمي .

ولكي نقضى على الفوضى في وضع المصطلحات العلمية والطبية او التخلص من او صابها واوشابها يجب حصر جميع المصطلحات التي وضمت والانتخاب الاصلح منها وان تؤلف لجنة من البلافاء يعبرون هذا الانتخاب وان تكون الماجموجة الموجودة حاليا هي المنطق الاول في ذلك كالمجم الكبير اللغات من الانجليزية الى العربية ومعجم يوسف حتى من الانكليزية الى العربية او اعتماد قاموس الاتحاد الدولي لطبع الاسنان (Dental Lexicon) وغيرها .

ولابد كذلك ان تتفق على كثير من الابواب التي طرقها كتابنا واديالنا الاولون لتأخذ من تعابيرهم ما يخدم مجريات علمنا الحديث ويعزز لفتنا ويعويها . فاسمحوا لي ان اسمعكم شيئاً مما ذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين قال :

« قال صحت التجربة وقامت العبرة على ان سقوط جميع الاسنان اصلح لي الابانة من العروفة منه اذا سقط اكثراها وخالف احد شطريها الشرط الآخر .

وقد رأينا تصديق ذلك في اواه قوم شاهدتهم الناس بعد ان سقطت جميع اسنانهم وبعد ان بقي منها الثالث او الرابع .

نسخت باليد وبدل فيها كاتبها مجهوداً مضنياً دام شهوراً طويلة واحياناً يضع سنوات ، ولم تكن تلك الكتب رخيصة الثمن فقد تفاصي ابن الهيثم مثلاً 75 درهماً اجراً لنسخ مجلد من مجلدات اقليدس ، وهو مبلغ لا يستهان به عاش منه ابن الهيثم سنة اشهر . ولقد ترك ابن الجزار الطبيب والرحال القبرواني منذ وفاته 250 طناً من لفائف رق الفرمال التي كتبها بنفسه .

هكذا كانت مؤسسات الترجمة والتمرير عند اجدادنا فهل اهدتنا مثلها ؟

وهل في مكانة امة ناهضة ترقب في معاشرة العصر ان تختلف من ادراج علم العالم الى لفتها ليكون العلم في متناول كل شغوف بالطالعة والبحث . وجل ما يميزنا في الوقت الحاضر من اجدادنا انهم وجدوا علماً سابقاً فاقبلوا على نقله لم زادوا عليه وادابوه في بونة ملهم وعترتهم ورثثروا الانسانية بابتكاراتهم وابحاثهم .. اما نحن فنجده ملوماً تسبير معنا وتسقينا فلذا كان من الضروري الاطلاع عليهما وعلى كل ما يصدر منها لنا بعد ذلك جولات في مسيرة الحضارة الحديثة .

ومما يلاحظ في زمننا الحاضر ان الاختصاص اخذ يلعب دوراً هاماً في تطور الامم ، وهل الامم التي ترقب بالبقاء والاستمرار ان تتجه كلها نحو التخصص العلمي في شئ ميادينه والانسان المختص في عالم اليوم هو الرجل الذي يعرف كثيراً وعليه ان يقرأ الكثير مما يكتب حول حقل معين من ميدان اختصاصه والا فلا يمكن اطلاق اسم (الاختصاص) على علمه وبحثه .

ولكن هناك صعوبة تواجه الاختصاص في شئ البلدان وهي ان الابحاث العلمية التي تنشر تكون عادة مكتوبة بلغات مختلفة متعددة ولا يمكن لعالم مهما كان عظيماً ان يتوجه ابحاث وكتشفات العلماء الآخرين ...

وكذلك لابد ان يعمل برنامج للترجمة والتمرير على نقل شئ الابحاث العلمية العالمية الى اللغة العربية ووضعها تحت تصرف العلماء الباحثين في شئ المخابر والمراكم والمعاهد والجامعات العربية . ولابد ان يكون لهذا البرنامج استقلال ذاتي

كمنع نسما ونسوها : انحرست اللثة واسترخت ،
كنتعت وتنبتاه خرجنا من العمر والمرأة نسما ونسوها
طال ظهرها او سنها او بطنها . وهذا المعنى قريب من
المعنى المطلوب .

ولنأخذ مثلا آخر لما ورد ذكره على لسان
العرب :

فلو ربت الاسنان كما نطق بها العرب لا مسبع
هذا الترتيب على النحو التالي :

الثنية والرياعية والناب والساحك والماء وهي
والطاھن والرھن والناجد وهذه الاسماء خير من
الاسماء المركبة .

ولو اخذت كلمة القسم لامكن استعمالها في
انكسار السن هرضا . فيقال : رجل اقصم الثنية
وامرأة نسماء من قوم قسم .

وكذلك كلمة الانقليس لامكن استعمالها
لانشقاق السن طولا فيسقط نصفها او يبعضها .
وكلمة القضم فيقال نفمت اسنانه لقضم نفضا ،
وذلك اذا انكسرت اطراف اسنانه وتفللت .

وكلمة العبر : وهو صفة تركب الاسنان ، فإذا
كثرت وفاظت لم اسودت او اخضرت فهو اللعنة
وامرأة قلحة وقوم قلحة .

وهنالك كلمات لا حصر لها يمكن الاستفادة منها
او احياوها ، وليس لدى وقت كي استرسل في سردها
وبيان جمالها وتوافقها واني اختم كلامي بآيات لابن
سبتا حكيمنا العظيم يقول فيها :

مد النفس بالعلوم لشرفى
وندر الكل لهى للكل بيت
اتما النفس كالرجاجة والملسم
سراج وكلمة الله زيت
فإذا أشرقت فائك حسى
وإذا أظلمت فائك مبى
والسلام عليكم ورحمة الله .

وكان عبد الله بن أبي فسان ظريفا يصرف
لسانه كيف شاء ، وكان الالهاع على القيء قد برد
اسنانه ، حتى لا يرى أحد منها شيئا الا ان تطلع في
لحم اللثة او في اصول مبات الاسنان .

وكان سفيان ابن الإبرد الكلبي كثيرا ما يجمع
بين الحار والضار فتساقطت اسنانه جمع ، وكان في
ذلك كله خطيبا بينا .

وقال اهل التجربة ، اذا كان في اللحم الذي
فيه مغارز الاسنان تشير وقصر سمك (التشمير :
التقليل) ، والسمك بالفتح الارتفاع) ذهب الحروف
ولسد البيان » .

كما يجب ان تقوم لجنة ثانية بحصر المصطلحات
العربية المنشورة في معاجم اللغة العربية وارى ان يكون
الانطلاق من كتاب المخصوص لابن سيده وكتاب خلق
الانسان لابن ثابت وما يشتملها .

ولابد ان نأخذ هذه التجارب بعين الاعتبار اصول
التعريب من حيث التعریب اللغوي او المنوبي او
توليد معان جديدة او نحت كلمات جديدة . ولا يجوز
ان نتحت كلمة الا اذا اتيتنا وسائل اللغة من ايجادها
في بعون القواميس وعلى سبيل المثال لقد ترجمت
كلمة (La Pyorrhée) او (Parodontium) او
او (Periodonitum) بكلمة (الرهال) واعتمد في ذلك
على نحت كلمة (رهل) التي ترمز حروفيها الراء الى
الرباط والعين الى المضم واللام الى اللثة .

فلو نتحت القاموس - ولتكن قاموس المعجم
للغيرون آيادي - لوقفت في هذه الكلمة على تفسير
طويل لها من معاناتها : مثلا رعله كمنه طمنه طمنا
شديدا ، والرمل اند الجبل ومن الرجل ثيابه ويقال
لما تهدل من الثياب ارعل وكذا ما انشى من المثب
وطال الخ ...

اذن هناك معنى لهذه الكلمة ولا يجوز ان نتحت
كلمة لها اصل في اللغة .

اما لو اعتمدنا كلمة النساء : الليناها مشقة
من نساع كمنب او نساع ونسوع ونسعت الاسنان

العربي والحضارة

الدكتور محمد شعروف الروابي

د - بل جزم علماء الآثار أخيراً اعتماداً على دراساتهم العلمية في السنوات الأخيرة في البلاد العربية ، وذهبوا إلى بعد من ذلك و قالوا : استطاعت الابحاث الأثرية أن تجد خمس موجات منها ، وإن تؤكد أن «آخرها وأقواها كانت موجة العرب المسلمين قبل أربعة عشر قرناً ، وأنه لا ريب قد سبق هذه الهجرات العربية التاريخية الخامسة هجرات عربية قديمة أخرى قبل التاريخ : امتدت على الفريقية الشمالية والبلقان وإيطاليا وأسبانيا وفرنسا وأيرلندا وبلاد الشمال (2) ، بل ذهبت مجلة «السان العربي» في العدد الثالث منها الصادر في شهر آب من سنة 1965 ، وفي الصفحة 130 إلى ما يدل على أن القرطاجيين الكنثائيين - البوبيين - قد وصلوا إلى البرازيل في خط هجرتهم القديمة في مطلع التاريخ ، وهذا ما قد ابنته البحوث العلمية الحديثة : من وصول العرب إلى أمريكا في مطلع العهد التاريخية (3) .

والمشكلة التي اهترست هذا الجزم هي :

أ - إذا كانت الحضارة الإنسانية الام انتقلت من جزيرة العرب ،

لقد استقر الرأي العلمي اليوم عند مؤرخى الحضارات القديمة على أن الحضارة الإنسانية الام التي نشأت فيما قبل التاريخ إنما هي حضارة « مثلث الحضارة القديمة » كما سماه جورج شفافنفورت Georges Schefenfurth ويعنى به اليمن وحضرموت على رأس المثلث ، ووادي النيل في مصر في أحد ساقيه ، واراضي الرافدين في العراق في الساق الثاني ، وما بين هذين الساقين في بلاد الشام (1) في قاعدة المثلث .

كما استقر الرأي العلمي على أن هذه الشعوب كلما :

أ - ترجع إلى أصول عربية لا شك فيها .
ب - وإنها نزحت تحت ضغط موارض الطبيعة في جنوب الجزيرة العربية عندما اشتهر جفافها وفاقت عن أحدها .

ج - وإن هذه الشعوب خرجت إلى مناطق هجرتها متحضره وملكة لнациمة الحضارة ، ولذلك شاهدت حضارتها في أصولها .

(1) كلمة « الشام » تعني بلاد الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وهي تشمل اليوم ما هو معروف بفلسطين والأردن وسوريا ولبنان .

(2) « مجلة الحوليات الأثرية السورية » ، المجلد السابع سنة 1957 ، الصفحة 4 ، الدكتور سليم ميد الحق مدير الآثار ؛ وكتاب « الآيتروسك في فربنا وفي أصولنا الفرسية » لمؤلفه الفرنسي « هيلبردو بارانتون » *Les Etrusques en notre Occident et nos origines francaises* .

طبع بباريس سنة 1946 ، المكتبة الشرقية والأمريكية لصاحبها « مiron نوك G. P. Maisonneuve الصفحة 1 ، وكتابنا « قلمة طروادة التاريخية » طبع بيروت سنة 1964 ، مكتبة لبنان ، الصفحات 54 ، 56 ، 61 ، 71 .

(3) انظر كتاباً « الدخل إلى التاريخ العام للقانون » الطبعة الثانية ، طبع دار الفكر بدمشق سنة 1963 ، الصفحة 541 .

وكان للبحالة « كيتاني » Ceatani الفضل في لفت انتباه العلماء الى هذه الظاهرة اليائمة : ظاهرة التغير الذي طرأ على جو بلاد العرب ، والجفاف الذي حل بها في اواخر الدورة الجليدية الرابعة الاخيرة .

لني الوقت الذي كانت فيه معظم التواحي الاوروبية وشمال اسيا تغطي الثلوج ارضها ، كانت جزيرة العرب ذات جو معتدل ، وامطار غزيرة ، واسجار وذروع .. ثم اخذ الجو يتغير في بلاد العرب ، فقد الجو رطوبته ، وسارت البلاد فيها بصورة مستمرة وبطئه نحو الجفاف منذ اكثر من اربعة عشر الف سنة ، فايل ذلك بالطبع في حياة سكانها وفي حياة حيواناتها ونباتاتها : فانقرض ما لم يتمكن من تكيف نفسه مع المعيب الجديد ، وظهرت الحاجة الى المigrations ، وكانت المigrations التي تتحدث عنها الان ، وخاصة بعد ان جفت الانهار الجزيزة وتركلت لها آثارها وهي الاودية ، وقد كان بعضها انهلا مظيمة في وقت من الاوقات (3) .

ونجد تصور « كيتاني » بلاد العرب في الدورة الجليدية الاخيرة جنة يقيت محافظة على بمحاجتها ونضارتها مدة طويلة ، وكانت سببا في رسم تلك الصورة البدوية في مخيلة كتاب التوراة عن « جنة عدن » ، وأن جنة عدن المذكورة في العهد القديم هي هذه الجنة التي كانت في نظر « كيتاني » في داخل يلان العرب (4) ، والتي يقول عنها في الجملة : أنها بلاد كانت كثيرة الامطار ، وكثيرة الانهار ، وكثيرة الاشجار .

ويؤيد هذه البحوث العلمية ان كلمة « العرب » وجميع مادتها ومشتقاتها انما تدل :

— على المياه الكثيرة ، الصافية ، الشديدة البريان .

— او على الانس وعلى الصفاته الملائجين للمياه الكثيرة الصافية .

ومكدا فاننا نورد فيما يلى موجزا من هذه المعانى في معاجم اللغة العربية :

(1) تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول طبع بغداد سنة 1951 ، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ

العرب مطول ، ليليب حتى ، الجزء الاول ، طبع بيروت سنة 1958 ، الصفحة 53 .

(2) تاريخ العرب لجواد علي ، الجزء الاول ، طبع بغداد سنة 1951 .

97 ، الصفحة 159 .

ب — واذا كانت كلمة « العرب » ومادتها كما جاءت في اللغة العبرانية السامية انما تدل فقط على المحراء والجفاف والبدو (1) .

ج — واذا كانت الحضارة لا يمكن ان تنشأ في محراء جافة ، تكيف والحال كما ذكرنا يمكن الجزم بنشوء الحضارة الإنسانية الام في جزيرة العرب الصحراوية الجافة ؟ ، فان هذا مما يتنافي مع شروط الحضارة .

وللجواب على ذلك لا بد من الاشارة الى البحوث العلمية الحديثة العازمة التالية :

اولا — نظرية البحالة « كيتاني » حول احوال جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وانها كانت اجواء ممطرة ، وان اراضها كانت ممثلة بالانهار .

ثانيا — معنى كلمة « العرب » ومادتها في اللغة العربية الفصح المؤيدة لذلك .

ثالثا — بطلان مزاعم المبرانين فيما سجلوه في كتب لفتهم من معنى لكلمة « انعرب » ومادتها : انها تعني المحراء والجفاف والبدو .

رابعا — نصوص من التاريخ القديم الدالة على رطوبة الجزيرة العربية فيما قبل التاريخ .

خامسا — نصوص القرآن الكريم عن انسواء الجزيرة المطيرة في عهد العرب البدائية ، وكثرة الانهار في اراضيها .

سادسا — واحبوا نصوص الحديث النبوى في ذلك ايضا .

نظرية البحالة كيتاني Ceatani

لقد دلت البحوث والدراسات الحديثة التي قام بها السياح والعلماء من بلاد العرب على ان تغيرا كبيرا قد طرأ على جوها ، وأن هذا الجفاف الذي يكتنف هذه البلاد في ازماننا لم يكن على النحو الذي نعرفه في العصور التي سبقت الاسلام كثيرا (2) .

(1) تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول طبع بغداد سنة 1951 ، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ العرب مطول ، ليليب حتى ، الجزء الاول ، طبع بيروت سنة 1958 ، الصفحة 53 .

(2) تاريخ العرب لجواد علي ، الجزء الاول ، طبع بغداد سنة 1951 .

97 ، الصفحة 159 .

(3) نفس المرجع السابق ، الجزء الاول ، الصفحات 158 - 159 .

(4) نفس المرجع السابق ، الصفحة 159 .

بطلان مزاعم البرائين

لقد زعم المستشرقون اليهود بأن معنى كلمة «العرب» ومادتها في اللغة العبرانية إنما يعني في الأصل «الجفاف والصحراء والبدو» (٢)، وإن كلمة «عرب» مأخوذة من مادة «أَرْبَ» بمعنى «أُمِّلَ أو أَجْدَبَ» في كثير من اللغات السامية، وإن صيغة «عرابة» أو «عرية» العبرانية استعملت أسماء للارض القراء (٣).

ولنا على ما وصل اليه المستشرقون في مصادرهم اليهودية المزورة ملاحظات أساسية اهتماها ما يلي :

أولاً - اعمال هؤلاء الباحثين لما جاء في أهم اللغات السامية اليوم وهي اللغة العربية والتي يحمل أصحابها وحدهم اسم «العرب»، وهو اعمال غير مفتخر ولا يدل على حسن تصدّ، خاصة وإن معنى المادة في اللغة العبرانية جاء مخالفًا تمام المخالفة لما جاء في اللغة العبرانية، وإن موضوع المخالفة متعلق ببلاد اللغة العبرية، ولا يجوز الحكم على معانى كلماتها الأساسية بمعان مستوردة من لغة غير عربية اثنانها - أن هذا الخلاف الكبير المتناقض فيما بين اللغتين العبرانية والعربية في معنى كلمة «عرب» يوجب على الأقل لفت النظر اليه، وأيضاً اخذ بالمعنى الثابت منه أهل اللغة العبرية لا هنـد أصحاب اللغة غير العبرية، ثم متابعة البحث لمعرفة السبب في هذا التناقض، مما دامت اللقنان ساميـن، والكلمة كلمة أساسية في اللغة العبرية وفي تاريخهما وتاريخ بلادها، وهذا ما لم يفعلوه بكل اسف ا

ثالثاً - اعمالهم الأخبار التي وردت في كتب اليونان والرومان وغيرها من النصوص القديمة، وكذلك ما نقل من المصريين القدماء (٤)، وكلها كانت تقول بوجود انهر طويلة في بلاد العرب، وبوجود أشجار ضخمة فيها، ويائـها «أرض الله» كما سماها المصريون لوفرة خيراتها ونتاج اشجارها من البهار والتوابـل، رغم أن كتب الاخبار القديمة في ذلك متوفـرة

- «العروبة» النهر الشديد العربي ، وجمعها «عروبات» . وما كان المكان ليصلح منها للقوم الا اذا كان فيه ماء ، ولذلك كثرت الامكـنة التي حملـت في جزيرة العرب اسم «عروبة» مثل باحة اسماعيل في مكة ، فقد سميت «عروبة» لوجود ماء زرمـن فيها ، وهكذا لم تثبت صيغة الجمع لكلمة «عروبة» اي عربات ان أصبحت عـلما في اللغـات العـبرـية القـديـمة على مهد العرب في جزيرـتهم لكـثـرة المـياه والـأنـهـارـ فيها ، والـى هـذـا الـاسـمـ نـسـبـوا وـسـمـوا عـربـياـ باـسـمـ بلدـهمـ «الـعـربـاتـ» ولا لـعـنـ «الـبـداـوةـ والـجـفـافـ والـصـحـراءـ» كـماـ نقـلـ عنـ البرـائـينـ (١) .

- و «العروبات» سفن رواكـدـ كانت على مـياه دجلـةـ .

- و «العرب» الماء الكثير الصافي .

- و «الاـعـرابـ» الذين يـرـتـادـونـ الكـلـاـ وـيـتـبعـونـ مـسـاقـطـ الـقـيـثـ وـمـظـانـ الـمـيـاهـ ، لاـ مـنـاطـقـ الـجـفـافـ وـالـصـحـراءـ .

- و «التعـربـ» الاـكـثارـ منـ شـربـ المـاءـ الصـافـيـ .

- و «عربـ البـشـرـ» كـثـرـ مـاؤـهاـ .

- و «أـمـرـبـ بـعـجـتـهـ» اذا الفـسـحـ بهاـ حتىـ صـبرـ عـماـ بـرـيدـ ، وـكـانـهاـ اـمـسـحـتـ كـالـمـاءـ الصـافـيـ الـذـيـ لاـ يـخـفـيـ مـاـ فـيهـ .

- و «أـمـرـأـ عـرـوبـ» اي مـتـحـبـةـ الىـ زـوـجـهاـ ، وـذـلـكـ لـصـفـاءـ مـرـاجـعـهاـ كـمـاـ هوـ شـانـ المـاءـ الصـافـيـ .

- و «عـربـ المـعـدـةـ» اي فـسـدـ وـسـالتـ كـالـمـاءـ وـانـ معـانـيـ هـذـهـ المـفـرـدـاتـ تـسـدـلـ يـاجـمعـهاـ علىـ انـ كـلـمـةـ «ـالـعـربـ»ـ وـمـشـقـاتـهاـ وـمـسـمـياتـهاـ مـلـةـ بـالـمـاءـ الـكـثـيرـ الصـافـيـ ، وـلـيـسـ منـ المـقـولـ انـ يـطـلـقـ العـربـ عـلـىـ هـذـهـ المعـانـيـ كـلـهاـ كـلـمـةـ لـاـ تـسـدـلـ مـادـتـهاـ فـيـ الـلـغـاتـ السـاـمـيـةـ اـلـاـ عـلـىـ الـجـفـافـ وـالـصـحـراءـ كـمـاـ زـعـمـ البرـائـينـ (٢) .

١) مـقـدـمةـ فـيـ تـارـيخـ الـعـصـارـاتـ الـقـدـيمـةـ ، طـهـ باـقـرـ

٢) تـارـيخـ الـعـربـ السـابـقـ ، لـجـوـادـ مـلـيـ ، الـجـزـءـ الـأـوـلـ ، طـبعـ بـيـرـوـتـ مـطـوـلـ ، لـفـلـيـبـ حتـىـ ، الـجـزـءـ الـأـوـلـ ، الـصـفـحةـ ٥٣ـ ، طـبعـ بـيـرـوـتـ سـنـةـ ١٩٥٨ـ .

٣) تـارـيخـ الـعـربـ السـابـقـ ، الـجـزـءـ الـأـوـلـ ، الـصـفـحـاتـ ، طـبعـ بـغـدـادـ سـنـةـ ١٩٥٦ـ .

٤) تـارـيخـ الـعـربـ السـابـقـ ، لـجـوـادـ مـلـيـ ، الـجـزـءـ الـأـوـ ، الـصـفـحـاتـ ٩٨ـ ، ١٠٢ـ ، وـكـذـلـكـ مـقـدـمةـ فـيـ تـارـيخـ الـعـصـارـاتـ الـقـدـيمـةـ ، الـجـزـءـ الـثـانـيـ السـابـقـ ، الـصـفـحةـ ١٨٩ـ .

ففقد جاء في النصوص المصرية القديمة ما يثبت وجود اختساب ضخمة في شبه جزيرة العرب، وإن المنطقة الواقعة بين «الملا» و«معون» أو «معان» من المناطق الصحراوية في الوقت الحاضر من أراضي تعود قدماً، قد كانت من مناطق الغابات المكتظة بالأشجار، ولعل ذلك كله هو الذي حمل المصريين القدماء على أن لا يسموا بلاد العرب باسمها الخاص بها، وإنما سموها في كتاباتهم بـ «أرض الله»، ووصفوها بفتح أشجارها من البهار والتوايل⁽³⁾.

اما الروايات اليونانية والرومانية القديمة فكانت تقول صراحة بوجود أنهار طويلة في بلاد العرب⁽⁴⁾.

— فان هيرودوت (ابا التاريخ وقد زار بلاد العرب بنفسه) قد ذكر خبر نهر في بلاد العرب دعاه «كورس»، وقال عنه انه من الانهر المظيمة، وأنه كان يصب في البحر الاحمر، وأن ملك العرب قد كان عمل على جلب المياه من هذا النهر العظيم بثلاثة انباب من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات، تمتد الى الصحراء على مسيرة التي شر يوما من النهر، تصب في مواضع متقدرة تستعمل لغزن المياه.

— وكذلك ذكر « بطليموس » اسم نهر مظيم سماء «لار Lar » وقال انه بنبع من منطقة «نجران» ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مختrafًا بلاد العرب حتى يصب في الخليج الفارسي.

وهكذا فقد تناولت ايضا الاخبار القديمة لتدعم حقائق ما قد كانت عليه بلاد العرب من احوال رطبة وامطار وانهار، كما جاءت في معنى ذلك نظرية كيتاني، وكما دعمها المعنى اللغوي لكلمة «عرب» ومفادتها في اللغة العربية واللغة العبرانية كما ابنتها تجربته اعلاه.

في نصوص القرآن والسنة

والآن نأتي في آخر المطاف من هذا البحث السريع الجديد الى معجزة الاخبار في ذلك، وهى

للباحثين كما سوف نعرفه بايجاز في البحث الخامس بها بعد هذا البحث.

رابعاً - عدم استعراض نصوص المهد القديم «التوراة» فيما يتعلق بالدلالة على مفهوم كلمة «عربية» فيها وهي كثيرة، وكلها تناولت نداء صريحاً بـ «الارض الجديدة ذات الامطار والعيون والانهار»، وانها تفيض بـ «مسلا»، في ارض الكنعانيين الساكنيين في ارض العربية⁽¹⁾. وقد استخرجتها كلها من اسفار المهد القديم فبلغت الشرات⁽²⁾، وهذا ما يبطل ما جاء في كتاب اللغة العبرانية من ان كلمة «عربية» انما تدل على «الصحراء والجفاف والبسد والجحذب والارض القفراء !!!» اذ كيف يجوز للتوراة ان تصف مساكن الكنعانيين في «العربية» بالارض الجديدة ذات الامطار والانهار والعيون واللبن والعسل اذا كانت كلية «عربية» في العبرانية لا تدل الا على الصحراء والجفاف والجحذب !! اللهم ان هذا ليهتان مظيم !! وقد ابي الله الا ان يفضحه وان يظهر بـ ان معنى الكلمة في اللغة العربية هو نفسه في اللغة العربية.

نصوص التاريخ القديم

وإذا ثبت لدينا فيما تقدم من نظرية «كيتاني» «العلمية»، ومن نصوص التوراة في «المهد القديم» ان معنى كلمة «عرب» ومفادتها انما تدل على الماء الصافي الكبير، والارض الجديدة الكثيرة الامطار والانهار، وذلك تماماً مثل ما جاء في معنى هذه المادة في اللغة العربية، وعلى خلاف ما جاء في اللغة العبرانية المجردة من اي دليل على ، فلتستمع الان الى نصوص التاريخ القديم من عهد الفراعنة واليونان والروماني، وكلها تدل على بقايا رطوبة الجزيرة العربية حينئذ مما هو معروف قبل التاريخ ، على الرغم من اشتداد حلقات زحف الجفاف على الجزيرة الذي كان قد بدأ قبل ذلك بآلاف السنين ، لم ما زالت حلقات تتشدد يوماً بعد يوم .

1) انظر سفر الخروج ، الاصحاح الثالث ، الفقرتين 7 - 8 ، وكذلك سفر التثنية ، الاصحاح الحادي عشر ، الفقرة الثلاثين .

2) انظر كتابي «المدخل الى التاريخ العام للقانون» ، الطبعة الثانية سنة 1963 ، الصفحة 578 .

3) تاريخ العرب ، لمجاد علی ، الجزء الاول ، الصفحات 102 ، 105 ، وكذلك مقدمة في تاريخ الحضارات ، لطه باقر ، الجزء الثاني ، الصفحة 92 .

4) تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحة 189 .

ويتفق مع نص الآية السابقة من كثرة الامطار والانهار قديما في شبه جزيرة العرب ، ما جاء في صحيف مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكثرا المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجل بركاتة ماله فلا يجد احدا يقبلها منه ، وحتى تصود ارض العرب مروجا وانهارا ». ففي قوله عليه المصلحة والسلام « حتى تعود » صراحة جازمة ايضا بما كان في جزيرة العرب قديما من مروج وانهار لكثرة الامطار، وانها ستعود مروجا وانهارا .

وقد نقل هذا الحديث ايضا الامام احمد في مسنده مبتدئا بلفظ : « لا تقوم الساعة حتى تصود ارض العرب مروجا وانهارا ... » ، وكذلك رواه الحاكم في المستدركة على الصحيحين ، وكذلك صاحب كنز العمال .

الفاتمة

وبالاشارة الى اصول هذهين المبحثين الاخرين من نصوص القراءان والستة الكثيرة مما لا يتسع المقام لاكثر منه ، تكون :

اولا - قد اتيتنا على آخر الادلة في هذه الدراسة الجديدة حول معنى كلمة « العرب » وجميع مادتها ، وانها الماء الكثير الصافي خلافا لما زعمه البرائين في معاجمهم من ان مادة الكلمة تعنى الصحراء والجفاف كما نقله منهم المستشرقون اليهود ، وكما ابنتنا كذبة بنصوص توراتهم المعروفة « بالمعهد القديم » .

ثانيا - تكون ايضا قد قضينا على المشكلة التي اثارها المستشرقون اليهود امام الجزم العلمي بان الحضارة الانسانية الام انشأت من جزيرة العرب ، ومنها انتشرت في بلاد الرافدين في العراق ، وفي وادي النيل في مصر على ايدي المهاجرات العربية القديمة فيما قبل التاريخ وبعدها ، من هبة قوم هاد « التي لم يخلق مثلها في البلاد » ، ولهود الدين جابروا (قطعوا) الصخر بالواد ، وفرعون ذي الاوتاد (الاهرامات) .

ونرجو ان تكون كلتنا هذه الوجيزة في بحثها خيرا باعث للقاريء العربي الكريم على العمل لتصحيح التاريخ وتبيينه من كثيرة من افلاط المستشرقين اليهود الذين كان معظمهم حربا لقائلة علينا ، قبل ان تكون صهيونية اليهود حربا علينا سياسيا واستعماريا .

نصوص القراءان والستة التي لا تدع بعد ذلك شك فيما نقلناه عن انواء جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وان جزيرة العرب كانت ذات انواء رطبة ، وسماء كثيرة الامطار ، وارض كثيرة الانهار .

والمعجزة في هذه النصوص انها تقدم منذ نحو أربعة مئات قرنا وبكل سراحة تلك البحوث والانجاهات التي انتجهها الدراسات الملبية الحديثة ، تلك الدراسات التي لم يكن من الممكن لها ان تقوم في تلك المصور ، ومن قبل امة امية حين نزل عليها القراءان المعجز في كل شيء .

اما نصوص القراءان الكريم فقد قاربت نحوا من اربعين آية ، وجاءت كلها في معرض التذكرة للعرب في مهد الرسول العربي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام ، والدعوة الى الانماط بين تقديمهم من الاقوام اصحاب المياه والجنان والمرمان والقوارب — من قوم هاد واهل سباق اليمن وما حولها من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وخاصة قوم ماد من العرب البايدة ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم نوح بعد كارثة الطوفان (سورة الاعراف ، الآية 69) .

— وكذلك قوم ثمود في شمال شبه جزيرة العرب ومطالع بلاد الشام ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم هاد بعد ان ابادهم الله (سورة الاعراف ، الآيات 72 - 77)

ونكتفي هنا وفي هذا البحث الوجيز بنتقل آية واحدة من القراءان الكريم ، وهي الآية السادسة من سورة الانعام ، اذ فيها كل ما تريده من صراحة القول ، وقطعية الدليل ، حينما خاطب العرب في مهد ظهور الرسالة الاسلامية ، وذكرها لهم بين قبليهم من الاجداد في سالف الازمان حين مصوا الله فأهلهم ، فقال في ذلك : « الـمـ يـرـواـ كـمـ أـهـلـكـنـاـ مـنـ قـرـنـ ،ـ مـكـنـاـهـمـ فـيـ الـأـرـضـ مـاـ لـمـ نـمـكـنـ لـكـمـ ،ـ وـأـرـسـلـنـاـ السـمـاءـ عـلـيـهـمـ مـدـرـاـواـ ،ـ وـجـعـلـنـاـ الـأـنـهـارـ تـجـرـيـ مـنـ تـحـتـهـ ،ـ فـأـهـلـكـنـاـهـمـ بـذـنـوبـهـمـ وـأـشـانـاـهـمـ فـنـدـعـهـمـ قـرـنـاـ آخـرـينـ » .

ففي ذلك صراحة ليس بعدها صراحة في وجود الاجواء المطرة والانهار لدى سكان شبه جزيرة العرب القدماء ، كما قد يبرهن عليه الباحثة كيتاني بوسائل العلم الحديث ، مما قد تغير مع هلاك اولئك الاقوام ، وهو كما يبدو من اعظم اسباب التمكين لاظهار تلك الاقوام في الارض العربية ، والحضارة الانسانية الام الاولى فيها مما لم يكن للعرب فيما بعد ، وخاصة في مهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث كان الجفاف قد استولى على الجزيرة العربية في معظمها .

غواص نصوص المفتوحة وانتشارها

الأستاذ عبد الرحمن الكباري

وتقرأ بالعروف التي ابتدعواها، والابجدية التي وضعوها
كانت لكل منها لهجتها التي تختلف عن غيره باللفظ ،
ويمض المعاني حسب المحبط الذي نشأ فيه وحسب
التطور الاجتماعي ، والحضاري ، الذي وصل إليه.

العرب قبل الإسلام :

قال المؤرخ جرجي زيدان في كتابه « العرب قبل الإسلام » (ص 32) (أصطلاح المؤرخون في هذا المصطلح يسموا الشعوب التي تتفاهم بالعربية والسريانية والحبشية والتي كانت تتفاهم بالأشورية والقشيبة ، والإرامية شعوبًا (سامية) نسبة إلى (سام) ابن نوح لأن هذه الامم جاءت في التوراة أنها من نسله . وسموا لغاتهم (اللغات السامية) . ولا خلاف بأن هذه اللغات السامية مشابهة في الفاظها وترابيقها ، وإنها من أصل واحد يسمونه (اللغة السامية) كما تتشابه فروع اللغة اللاتينية ، أو فروع اللغة السنسكريتية ، فيقال مثلاً أن اللتين الإيطالية والإسبانية اختنان أمها اللغة اللاتينية . وإن الفارسية والأوروبية اختنان أمها السنسكريتية . كما يقال أن اللغات العامة في الشام ومصر ، والمغرب ، والعراق ، والمحajar ، واليمن ، والسودان أخوات ، أمها اللغة العربية الفصحى ، وهذه الامهات لا تزال محفوظة ويمكن رد بنائها اليها . أما أم اللغات السامية فلا وجود لها الآن ، وقد زُمِّن فلاسفة اللغة أنها العبرية وظنوا غيرهم أنها العربية .

نستطيع تاريخياً أن نقول بأن اللغة العربية نشأت في الجزيرة العربية مهد اللغة السامية وبناتها . وهي أقدم تلك البناء ، واقتربها إلى هذه اللغة التي لم يتكلم بلهجاتها إلا الساميون بعد ما خرجوها وتفرقوا خارج الجزيرة العربية في تاريخ لم يعلم مده .

واللغة العربية ، وهي فروع اللغة السامية لم تنشر خارج تلك الجزيرة إلا بعد ظهور الإسلام . إذ امتد الفتح الإسلامي في سرعة لم يعاتلها فتح آخر ، إلى بلاد سوريا ، والعراق ، ومصر ، وفارس ، ولبيبا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب الأقصى ، والسودان ، والصحراء ، وببلاد الأندلس ، وجنوب فرنسه ، وجنوب إيطاليا ، وسقليبة ، ثم إلى بلاد الترك ، والأنفاق ، والسدن ، والهند ، وفلاقيسا ، وسائر البلاد التي نت雪花 العرب ودانت بدين الإسلام ، وأشتراك شعوبها مع العرب الفارسيين في بناء حضارتهم وتكلمت بلغتهم وساهمت بنشر ثقافتهم وتعاليم دينهم .

اللغات السامية وما تبقى منها ؟

واللغات السامية لم يبق منها إلا العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، والحبشية . وقد كانت البabilية ، والأكادية ، والإرامية ، والكتمانية ، والتدمرية ، والسبالية ، تمثل لغة الأقوام السامية الذين تفرقوا في سوريا ، والعراق ، وفارس ، وفلسطين ، ولبنان ، وشمالي أفريقيا . وكانت تكتب

الدينية ، والمؤسسات الروحية ، والجامعات العلمية ، وجود الكاتب العامة ، والخاصة ، والمطابع وطبعها في البلاد الإسلامية وفي البلاد التي توجد فيها أقوام إسلامية كالهنود ، والصين ، وببلاد فارس آسيا وببلاد السوفيات ، وتركيا ، ودول الريقيا المسلمة ، وأندونيسيا ، وافغانستان ، وباكستان .

اللغة العربية ، واللغة العجشية ، واللغة السريانية ، وما أتت إليه كل منها :

وأما العربية فقد انحصرت في بقایا بني اسرائيل بحسب العوامل الرمزية والسياسية ، والثقافية . وانحصرت السريانية في بعض القرى والأماكن التي يقطنها بقایا الاشوريين في العراق ، وبعض قرى لبنان ، وسوريا ، وأيران . وانحصرت العجشية (الامهرية ، الصومالية والجميرية) بسكان اثيوبيا والصومال .

وتختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها كما ذكر الدكتور علي ميد الأحد الوالي في كتابه (علم اللغة) اختلافاً كبيراً ، فمنها ما ينبع له فرص مواتية فينتشر في مناطق واسعة من الأرض ويتكلّم به مدد كبير من الأمم ، كما للإثنية والبورغالية والأفرنجية والإنجليزية في العصور الحديثة .

(ومنها ما تسد أمامه المسالك فيقضى عليه ان يظل في منطقة ضيقة من الأرض ولئنة قليلة من الناس) .

أسباب انتشار اللغة العربية :

اما انتشار اللغة العربية فيعود الى هذه عوامل :

أولاً — ان اللغة المذكورة هاشت في صراع مع لغة أخرى أو لغات أخرى . وتفضي نوايس التنازع اللغوي أن يكتب لها النصر فتحتل مناطق اللغة أو اللغات المقهورة فيتسع بذلك انتشارها . وتدخل أم جديدة في عداد الناطقين بها ، كما حدث للغة الاليانية في العصور القديمة وكما حدث للغة العربية في العصور الإسلامية إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية حتى بلغ مدد الناطقين بها (80) مليوناً من النسوين يتتجاوزون إلى خمس عشرة دولة بعد ان كانوا لا يتجاوزون المائة « الآلاف يقطنون منطقة في الجنوب الغربي والشمالي من جزيرة العرب .

وزعم نبرهم أنها ابابلية ، ولا تخرج أقوالهم عن حد التخيّل) .

وقد باد أكثرها لأن حضارة الأقوام والقبائل التي كانت تتكلّم بها زالت ، ولم يبق منها إلا اللغة العربية ، واللغة العبرانية ، واللغة السريانية ، واللغة العجشية .

اللغة العربية والآقوام التي تتكلّم بها :

أما اللغة العربية ففي الوقت الحاضر يتكلّم بها ثمانون مليوناً من النسوين يقطنون البلاد العربية : (مصر واليمن ، والجزيرة العربية السعودية ، والكويت ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، وبلاط الأردن ، وفلسطين) وببلاد المغرب ، والجزائر ، وتونس ، ولibia ، والسودان ، وحضرموت ، وعدن ، والبحرين) . وكان يشيع استعمالها والتتكلّم بها كلّة دين ، وادب ، وعلم ، وفن ، وطب ، وفلسفة ، وتشريع ، وتجارة ، وسياسة ، بين الأمم الإسلامية التي دانت للغرب ودخل الإسلام الى قلوبهم وديارهم وملوكهم وأمرائهم أكثر من تسع قرون ، من مصر صاحب الرسالة الحمدية وخلفائه الراشدين وزمن دولة الامويين والعباسيين ودولة الفاطميين والإيوبيين في مصر وسوريا ، والعراق ، وشمال إفريقيا ، ودولة الامويين في الاندلس ومن حكمها ، وحكم شمالي إفريقيا من دولة الموحدين والمرابطين وملوك بني حفص وغيرها ، ودولة الحمدانيين وبني مرداس والمالiks السلاجوقيين ، والجراسة في بلاد الشام ومصر ، ودولة آل بويه في العراق ، ودولة خوارزمشاه ، والأتاكية ، وبين آرتق ، وبين سامان فيما وراء النهر وخراسان ، ودولة ملوك آل سبكتكين ، ودولة بنى طولون ، ودولة الاخشيدية في مصر ، وملوك كرمان وغزنه ، إلى أن انتهت الخلافة العربية وقام بالفتحات دولة بنى هشان ، ودولة هلاكو والتنار ، وملوك فارس ، وحلت لغات هذه الدول التركية والتatarية والفارسية والأوردية في بلادهم محل اللغة العربية . وأخذ كل من هذه الدول ينشر لغته في بلادها وآرجائها ، ولكن بالرغم مما أصاب الإمبراطورية العربية ، والبلاد الإسلامية من كوارث ومحن وانحلال فقد بقيت اللغة العربية في هذه البلاد لغة الدين والشرع والعبادات ، والتعليم ، تقوى وتضيّع حسب تطور كل دولة وكل مملكة ، وبمقدار تمسك أقوامها بالدين الإسلامي ، وتعاليمه ، وبمقدار انتشار العلم ورجال الدين من بين أفرادهم ، وبمقدار وجود المدارس

- كيف انتشر الدين الاسلامي وانتشرت معه اللغة العربية :

وكان من تأثير تلك الفتوحات والمجارات التواليات ، وتلك الحضارة الشاملة انتشار اللغة العربية وازدهار فنونها ، وعلومها ، وأدابها ، لأن الدين هاجروا إلى تلك البلاد حملوا معهم حضارة الشرق الاسلامي ، وتعاطوا التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، واحتلوا بالسكان فاحكموا الاندماج ، والترابط ، والامتناع ، ونشروا الدين ومسموا العلم ثم تعاونوا على تأسيس الملك وإدارته وبناء المدارس ، والجامعة ، والمعاهد ، واسعوا المكتب ، وأكثروا من التأليف والنشر . وكانوا في أخلاقيهم ودينيهم ، وأدابهم ، ودفعهم عن الحق وحرية الفكر ، والعمل ، وفي تنفيذهم لاحكام الشريعة في قضاياهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم وفي دفاعهم عن كرامة الدين والوطن من اجل الحاكمين كما شهد بذلك « فوستاف لوبيون » العالم الاجتماعي النفسي .

وكانت مهودهم اولى المهدود اجتماعياً وحضارياً ، واقتصادياً ، وتقاربها يبرهن عليها ما الف في ايامهم من ملايين الكتب ليس في بلاد الاندلس ومصر والعراق والقيروان فحسب بل فيسائر البلاد الاسلامية وكلها باللغة العربية حاوية انسوخ العلوم والفنون والاداب وبالغة ما الف ونشر في بلاد فارس ، والهند ، وبخارى ، وطاشقند ، وخيبر آباد ، ودبى ، ثم ما ظهر في جميع البلاد الاسلامية من علماء وفلاسفة ، واعباء ، وأدباء ، وشعراء ، وفلكيين ، وربانيين ، وكيميائيين ، وبنائيين ، ورجال صناعة ، وتجارة ، وفن ، ورجال حرب ، وهندسة ، وزراعة ومران في مصود عبد الملك ، وابنه الوليد ، وابنه هشام ، وكذلك في ايام جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، وفي ايام الفاطميين ، والحمدانيين والامويين في الاندلس ومن أئتها بعدهم من الوحديين والراطبين ، كل هذا وسواء ليدل الباحث على ما وصل إليه العالم العربي الاسلامي من الرقي وما كان من انتشار الدين الحنيف من تأثير على انتشار اللغة العربية ونهضتها وما كان لحضارتهم من تقدم ومر ومتنة ، وسمو وحرية ساهمت على رقي المدينة الاسلامية والتقدم البشري مع التقدم في الآداب ، والدين ، والأخلاق الذي ضمن رفاهية الشعب ، وقيام الشانسي والبيمارستانات والخانقاهات والسبيل ، والبرات

نانيا - ومن دواعي انتشار اللغة ، ان ينتشر افراد شعب ما على اثر هجرة ، او نجع او استعمار يتم في مناطق جديدة بعيدة من اوطانهم الاولى وتكون من سلالاتهم بهذه المنطقة امة ، او امم متيبة كبيرة السكان ، والائلة على ذلك كبيرة في المصور القديمة والمصور الحديثة .

ففي المصور العربية القديمة هاجرت قبائل عديدة من العرب يعيشون وعدنانيون كما جاء في تاريخ خطط الشام وتاريخ العرب قبل الاسلام ، فقد هاجرت (سليخ وعنان) والضجاعون الى الشمال من بلاد الشمال ، وهاجر التنوخيون الى الجنوب وسلمي ، وقضامة ، وعاملة الى فلسطين ، ثم لخم ، وجزم ، وذبيان وكلب الى الرملة والجولان ومصر . ثم جهينة والقينة وبهاء ، وتنوخ الى حوران وجبال الشراة ومداين صالح ، ثم اباد وطي وكتنا ، وذير وهمدان ويحبب ، وقبس ، وهم من عرب اليمن فنزلوا حمص وحماء وسلمي ، وتدمير ، وحلب وكانت دمشق منازل ملوك غسان ، واهلها وماجاورها من قبائل وقرى من بطون قيس ، وبها جماعة من قريش .

وسكن بنو تنوخ بقاع حلب ، ومنبع ، والموصل . وسكن بنو بكر بن والل ديار بكر واورنه . ولم تقتصر المجرات العربية الى سوريا وفلسطين ولبنان ، بل امتدت الى العراق ايام الناذرة ، وزادت أكثر فاكثر ايام الفتح الاسلامي هنالك قاد الجيوش العربية سعد ابن وقاص ، وخالد بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ثم تابعت ايام الامويين و ايام العباسيين فامتدت الى بلاد واسط والковة والبصرة ، وبغداد ، والموصل ، والرقة ثم الى بلاد فارس وما وراء النهرین وببلاد الفانستان والسنند والهند والصين ثم الى قافقاسيا حتى باب الابواب وكذلك تدفق هجرة القبائل العربية ايام عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وموسى ابن نصير وغيرهم من قواد العرب والقادة الى شمال الريقيا والسودان ثم الى بلاد الاندلس حتى جنوبي فرنسا وجنوب ايطاليا ، ثم الى سقية . فاستوطنوا وتزاوجوا واحتلوا مع البربر وانشأوا المدن ، والقرى والثغور ، والعواصم ، وقاموا بالنشأت واسسوا الحضارة ، وعملوا على نشر الاسلام والعلم ، واللغة العربية ، وكانوا في حكمهم مادلين وفي ذواتهم بانيين ، وفي حضارتهم عاملين لخير الدنيا والدين فلم تقو هواي الرزق وعواصف الايام على ازلة آثارها الخالدة وما لها من نضل على الاجيال الآتية .

- الاسباب الاخرى لانتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب الفعالة التي ساعدت على انتشار اللهم العربية خارج البلاد العربية يرجع ولا شك الى الاسلام ذاته ، في عداته وصدق معاملاته ، وفضله ، مما جلب قلوب الرعايا وحبب الى النفوس تعلمها ، والايام بشر يمها ، والطامة لقرمانها .

ثم لاطلاق الاسلام الحرية في المقيدة ، والتفكير والعمل وفقا للقادة الاساسية الاسلامية التي اهلتها (الخليفة الثاني عمر) عندما سأله عامله (متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) .

ثم للمساواة التي شرها الاسلام بين افراد الناس على اختلاف طبقاتهم ، ومللهم والوانهم ، ونعلم ، اذ جعل الجميع يتساون امام الحق والمسؤولية والشريعة ، اذ تقول الآية الكريمة (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وبنص الحديث الشريف قالا (ليس لعربي على اعجمي من فضل الا بالتفوى) .
ثم يقول الرسول الاعظم (الخلق كلام ميسال الله واقريرهم اليه انفهم لعياله) ، وفوق كل ذلك امر الاسلام بالعدل بين جميع الناس فقال عز من قال (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وادا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) ف بهذه المبادىء التي قام عليها الاسلام وفيها الفتحت القلوب المغلقة ، واسهم الناس ، واطاعت الشعوب ، وتعلمت افرادها اللغة العربية لغة القرآن والحديث .

الشعوب والامم مهما تكن اجناسها ، ونحلها ، والوانها ، وانواعها ، لا تقبل على طاعة المحاكفين ؛ وتتعلم لغتهم عن رغبة وطؤافية ، وتختضن لاحكمتهم بقبول ورضى ولا تعيش في ظلم بناة ، هاملة ؛ ومنتجة ، وهادئة ، الا بفعل العدل ، والمساواة والرهابة ، والحرية والشجور بالحماية والتعاون ، حسب منطق الحديث الشريف (لكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) اضف الى هذه الفضائل والمبادرات السامية ، روح النفس العربية في الامة ذات القومية المفتحة ، غير المتعصبة ، ولا المحتكرة ، قوية تتلهمها الاخلاق ، الاخلاق الحميدة ، والعميدة فقط على وجه التخصيص ، الاخلاق التي تقلب الملحمة الاعامة على المصلحة الخاصة ، والوجدان على العقل ، والعدل على الفعلم ، والروية على الاندفاع ، والغزو على السفك ، اخلاق تؤمن بان النهاية الشرفية لا يجوز ان يسلك اليها بواسطى غير شريفة ، وهذا ما جعل يائشيار الاسلام ولغته وساعد على نصر الاقوام ،

والللاجئ والمعاهد ، والمكاتب ، دور الابناء بسرعة
غير المؤرخين والباحثين .

و في ذلك يقول الفيلسوف أوزفالد شينغلر الألماني في كتابه عن سقوط الحضارة الغربية :

« ان الحضارة العربية كانت تومن بثلاثة ابعاد (الطول والعرض والعمق) لكن الفرق بين المعمق (الحاديسي) الفادستية مذهب منسوب الى فادست الالماني الطبيب العالم الاسطوري الذي باع روحه للشيطان وعليها بني « غوثه » روايته فادست ، والعمق الغربي ان الاول يتسامى ليحلق في الفراغ بينما العميق العربي ينحدر ليغوص فى الامماع لباطن الارض ، وهذا وحده كاف ليفسر لنا سر الحميا الجبارية التي دفعت بالحضارة العربية هنديا انطلقت اخيرا من قبورها وأفلالها لتلتقي بظلالها على جميع البلدان التي تنتهي إليها باطنينا منذ قرون وقرون وفرون سبقت انطلاقاتها الاولى .

ان هذه الحمايا للدلالة على ان النفس العربية هي
في مجلة دائمة من امرها . فهي تلاحظ اعراض
شيخوختها حتى بلوغ شبابها . وانه الحق يقال
لا مثل هنالك في التاريخ لتحرر الجنس الوئسي
واعطائه كما حدث للجنس العربي بتحريره السريع ،
واعطائه المجز ، فلقد فتحت سوريا لا بل حزرت
عام 634 م . وسقطت دمشق عام 637 م واستعبدت
مصر عام 645 م . ويبلغ المغرب الهند في ذات
التاريخ . وفي عام 647 م هادت قرطاجنة . وفي عام
676 م استعبدت سمرقند . وفي عام 710 م سقطت
اسبانيا . وفي عام 734 م اخذ العرب يقرمون ابواب
باريس .

لقد ضفت في هذه السنوات القلائل جميع العواطف العربية المدحرة ، والأعمال المؤجلة ، والأعمال المحفوظة ، هذه التي يكفي لتملا قروننا وفروعنا من التاريخ .

ثم يقول الفيلسوف المنصف (فالصلبيون امام القدس، وسلامة هو هنستاوفن في مقلبة، والهانسا في البليطيق ، والفرسان التيوتيشن في الشرق السلافي والاسبان في أمريكا ، والبرتغاليون في الهند الشرقية، وأمبراطورية شارل الخامس التي لم تغرب الشمس منها ، وببداية العصر الاستعماري الانكليزي تحت رعاية كرومويل هذه الانطلاقات كلها تعادل في زخمها انطلاقة واحدة حملت العرب الى اسبانيا وفرنسا وجنوب ايطاليا والى الهند وباكستان) .

والادب ، والتراث ، والفقهاء ، ورجال الحديث والمأة المذاهب ، والمؤرخون ، واصحاب التفاسير ، والاطباء ، والفلسفه ، والتفسة ، والمتخصصون ، والرياضيون ، والفكريون ، وسواهم من منشئو العلماء والادباء والمتخصصون وكلهم ثقى بالثقافة العربية وباللغة العربية ، لغة الدين والحكم والتاليف ولغة الدولة ، ولغة العلم والفن والادب ، والفناء والموسيقى ، تجمعهم لغة القراءان والحديث واللغة الفصحى وان كانوا من اقوام مختلفة وطبقات متباعدة واقاليم قرية او نالية ، وان كانوا في مجاهتم مختلفين ، فللعربي لهجته وللشامي لهجته وللمصري لهجته وللمغربي لهجته وللخراساني لهجته ، مما ايجادات العواسم والمدن ، والارياض ، وللهجات اهل المهن والحرف ، ولكن الخمسة ملايين من العالم الاسلامي لم تخرج لهمتهم عن اللغة الفصحى التي حفظها القرآن والحديث فيما يلتفون وينشرون ويتعلمون ويدرسون ويتراسلون .

وقد ساعد على انتشار اللغة فيما ذكر في القرون التي تلت ظهور الاسلام وفي مصرنا الحديث ازدهار حركة التأليف والنشر فقد مثلت الدنيا بالمؤلفات المخطوطة في كل علم وفن وادب .

وكان من المعن ، المؤلف ، ومن الغسارة التي لم تuousن ، ان اصبح العالم الاسلامي في الشرق والغرب بغيرات المفول ووحشيتهم وبغيرات التيار ومظالمهم والصلبيين وحربيهم ، والاسبان وبربريتهم ومحاكمتهم في بغداد ودمشق والقاهرة والأندلس ، فارتکب الجميع قتل الملاويين ، ونهب اموالهم وتصورهم وتغييرهم بعدما خربوا القلاع ، والمساجد ، والتفوا معظم المكاتب وما فيها من مخطوطات ، وتناثروا وأقاموا على العالم ثروة لا مثيل لها من العلم ، والحضارة . وقد شاءت القدر ان يكون نصيب بغداد من الصياع فوق ما يتصور فقد بقي ما دخلة عشرة ايام اسود من كثرة ما التي في جوفه من المخطوطات لترى من توقيها الجنود .

- ان القراءان والحديث والاسلام في انتشار اللغة العربية ونوعها ، وتطورها ، وارتفاعها :

ولى هذا الموضوع يقول صاحب كتاب فقه اللغة الاستاذ الجليل الدكتور علي عبد الواحد ، ما يلي : (ان القراءان العظيم مفخرة العرب في لغتهم اذ لم يفتح لامة من الامم كتاب مثله (لا ديني ولا دنيوي) من حيث

اضف اليه اهتمام الرؤس برعيته ومسؤوليته تجاهها ، وصلاح اللغة العربية للنمو والتوسع والتطور . واخيرا تشجيع ذوي الامر من ملوك وخلفاء وامراء وزراء لرجال العلم والعلماء والتعليم والاداء الاموال الوفيرة والمكافأة السخية لخدمتهم لخدمتهم ونشره والتاليف في مختلف انواعه ولن درس وخدم اللغة والشرعية والادب والفن .

- العوامل الاخرى التي ساعدت على انتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب التي ساعدت على انتشار اللغة العربية ، مقوماتها الطبيعية في الاوطان الاصلية نفسها ، فباحد افرادها ، وطوابقها في الزيادة المطردة ، وتنشط حركة الاقتصاد والعمران في بلادها ، تكثر فيها المدن والقرى ، والدساك ، والعواصم ، وتتعدد الناطق ، والاقاليم ، فيتسق بذلك نطاق انتشارها ، ومدى ارتقائها ، كما حدث لكثير من الدول كالانكلترا ، والافرنسين ، والبابان ، والاسبان ، والبرتغال في بلادهم والبلاد التي احتلواها ، واستعمرواها والذين هاجروا اليها .

ثم شف العرب وظماوهم للحصول على المعرفة والعلم اينما كان ومن حيث كان والأخذ بما من مواردهما ، والعمل على نشرهما ، وقد سار الاقدمون من العرب وتعهم التاخرون على هذه السنة ، وشاركتهم في ذلك اهالي البلاد التي دانت لهم نكث من بينهم حملة العلم ، والبغاء ، وارباب التبحسر والاختصاص ، وظهر منهم اهل المذهب والذكاء فترجموا كتب الاقدمين من هند ومجسم وسريان وبيزان الى لغتهم العربية واستقدموا منهم الفلاسفة والاطباء والعلماء الى بلادهم للاستفادة منهم والترجمة والتدريس . ونقلوا من البلاد البعيدة ذات الحضارة الكتب العلمية واتشأوا دورا للنقل والترجمة والمكتب للدرس والمطالعة ، وبنوا المدارس والمعاهد العلمية للتعليم والتدريس ، واسسوا الجامعات في مراكز بلادهم . وبدلوا المال بسخاء لم يعرف له نظير . وتبادلوا مع انسحاب ما رزقهم الله به من علم ولغة وادب وفن وتجربة .

وبهذا الشف والظما ، والتشجيع والشحاء والكرم - الدافع القوي - والخصلة السامية ازدهرت الحضارة العربية ، ونم الاسلام ، وانتشرت اللغة العربية ، ونبغ العلماء ، والشعراء ، ورجال اللغة

العرب من الام التي دانت لهم ولحضارتهم ، من ملوك ، وفنون ، وصناعات ، ولقانة ، ومصران . وما اقتبسوه من لغاتهم وفنونهم ، وما ترجموه من مؤلفاتهم في مختلف الشؤون ، وأوجهه العجاء . فتناولت العربية بجانب ما تناولته من قبل ، شؤون التأليف في الرياضيات والفلك والطب والطبيعة والمنطق والكميات والفلسفة ، والفقه ، وفنون اللغة ، والتقى الأدبي ، وتاريخ الأدب والرسائل السياسية ، وضبط أمور الدولة وتنظيم شؤون الدواوين ، والردد على المذاهب الزائف ، ومقاومة الكفر والزندقة والالحاد ، وصنع القمة والرواية ، والمقامات وعلم جسرا .

وقد نجم عن اتساع اللغة العربية وارتفاعها في ناحية الأفراش اتساع وارتفاع في ناحية الأخلاق والأساليب .

ثم قويت على تجلية المعاني الدقيقة التي جلبتها اللوم السابق ذكرها واستخدمت فيها العبرة المقلية والبراهين النطقية ، والأدلة الفلسفية وادخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه ، وتهذيب أساليبها ، وتشكلت في صور الأساليب العلمية) .

ثم يقول (وأما المفردات ودلالتها ، فكان الآخر فيها واضح كل الوضوح ، فقد تجرد كثير من معانيها القديمة ، وأصبحت تدل على معاني خاصة تتصل بالعبادات والشعائر ، وشؤون السياسة ، والإدارة وال الحرب ، ومعط苋ات العلوم والفنون ، ومن ذلك الفاظ الصلاة ، والصوم ، والزكوة ، والمعجم ، والخلفية ، والإمام وامير المؤمنين ، والتاسع ، والوالى ، والعامل ، والكاتب ، والوزير ، والشرطة ، والدرك ، والوظيفة ، والقطائع ، والجريدة ، والصائفة (التي تذهب أيام الصيف) ، والشاتية (الكتبة التي تذهب أيام الشتاء) والمرتفقة ، والمطردة ، والشحنة ، والثغور ، والعمارة ، ودار الصناعة ، وديوان العبد ، وديوان الرسائل ، وديوان الخامس ، والسرير ، والسلكة والطراز ، والقصورة ، والتعجب ، والنعمت ، والتوكيده ، والتجويد ، والحد ، والتمرير ، والتكدير ، والشبة ، والقياس ، والتعريف ، والتصريف ، والقضية ، والسبة ، والوجبة ، والقدرة ، والخدمة ، والنتيجة ، والصرع ، والاستئقام ، والدبحه ،

البلاغة والتأخير في التفوس والقلوب سواء حبس يتحدث عن الله الواحد الاحد ، ومن مباداته ، وظمته ، وجلاله ، او من خلقه للسموات ، والارض ، وما بينهما ، او من البعث والنشور ، او حين يشرع للناس مناهج حياتهم ، ويقيمهما على اسس قوية ومبادئ سامية تحقق لهم السعادة في الدارين الاولى والآخرة) ، وحين يقول الله في كتابه مخاطباً الانسان « وابني فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك » ، ولا يبغى الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

وبعد هذا يمكن تلخيص العوامل التي اثرت تعاليم الاسلام وكتابه المنزل على رقي اللغة العربية وانتشارها وتهذيبها وتحبيبها بما يلي :

ا - تقوية سلطان اللغة القرشية . فقد كان لمجيء القرآن والحديث بلغة قريش وهو دعامة الشرع الاسلامي الذي امتنع قبائل العرب اعظم تأثير في توطيد هذه اللغة وثبتت اركانها وقواعدها وتقوية سلطانها على الالسنة والمعجمات

ب - تهذيب اللغة العربية وتنقيتها والنهاض بها إلى ارقى مستويات اللغات والأداب .

ويبدو البر ذلك في مختلف النواحي اللغوية (في الأفراش ، والمعاني والأخلاق ، والأساليب) .

اما الأفراش : فقد اتسمت اياها اتساع بفضل

القرآن ، والحديث ، وبانتشار الاسلام وتعاليمه في امم ذات ثقافات هريرة ، وبما افاده العرب ولغتهم من الاحتياك بهذه الثقافات وقد فتح القرآن والحديث للغة العرب ابواباً كثيرة من فنون القول مولجت فيها امور لم تكن العربية مالجتها من قبل ، وذلك كمسائل القوانين والتشريع والقصص ، والتاريخ ، والعقائد الدينية ، والجدل فيما وراء الطبيعة ، والاصلاح الاجتماعي ، والنظم السياسية ، وشؤون الاسرة ، واصول القضاء ، ودراسة ظواهر الكون والحياة ، والفلك ، والطبيعة والنبات والحيوان وهلم جرا .

ثم يقول الاستاد علي عبد الواحد (وقد افيت الى هذه الأفراش فيما بعد افراش كثيرة يرجع فيها الفضل الى الاسلام وانتشاره ، واسع رقعة المملكة العربية وارتفاع مظاهر المدينة فيها . والى ما ورد

ثم يقول الاستاذ (ولا شك ان هذا الحفظ ائم للهجة قريش ان لا تنتشر في العالم الاسلامي فحسب) بل تحفظ ايضا ، وتظل على مر العصور جديدة فضة لا تبلى مع الزمن ثم انها اكتسبت ما تقيت من لغات ، اذا انخدلتها شعوب لأمداد لها لسانها ، فاصبح هو اللسان الادبي واللسان العلمي من اواسط آسيا الى المحيط الاطلسي . وكل من عاشوا في هذا الاتحاد تكلموا العربية القرشية اذا حلت محل لغتهم الاولى واصبحوا مثريا يعبرون بالعربية الفصحى عن مشاعرهم ومقولهم ، ومواظفهم ، ومعارفهم بفضل القرآن . فهو الذي حفظ العربية من الضياع ونشرها في الارض وجعلها لغة حية خالدة .

وثاني آثاره انه حول العربية الى لغة ذات دين سماوي وبذلك اصل فيها معانى لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها .

ويقف عادة مؤرخو الادب عند الفاظ ابتداء مثل الفرقان ، والكفر ، والإيمان ، والاشراك ، والاسلام ، والتفاق ، والصوم ، والركاوة ، والنيم ، والركوع ، والسجود ، والشهد ، والتشهيد ، والتسليم ، والتكبير ، والاذان ، والقنوت ، والتهجد ، والطلاق ، والفاتحة وغير ذلك من كلمات الدين الاسلامي . ولكن من الحق ان المسالة لم تكون مسألة الفاظ انما كانت مسألة دين جديد له مضمونه الذي لم يكن العرب يعرفونه .

ويعبر الزمان تكونت حوله ملوك ، ولا مبالغة اذا قيل ان كل ما كسبه العرب من علوم ومعارف ، انما كان بفضل ما نهلوا فيه القرآن من حب للعلم كما تقدم ، ومن هذه العلوم المختلفة علم التفسير ، وعلم اسباب النزول ، وعلم اعيان القرآن وعلم نحوه واهرابه وعلم خاصه وعامه ، مما هيأ علوم البلاغة .

ومن العلوم المهمة المتفرعة منه علم الفقه وأصوله ، ولا ينبع اذا قلنا ان العلوم الاسلامية كلها قامت لخدمة القرآن وتعاليمه فهو الذي هيأ بقسوة لنفسه العرب والاسلام العلمية .

وثالث آثاره كما ذكر الملاة الدكتور شوقي ضيف في تاريخه عن الادب العربي (ان القرآن هدب اللغة العربية من العوشي ، ومن اللفظ الفريض . فاقامها بهذا الاسلوب البالغ الروعة الذي ليس له سابقة ، ولا لاحقة في العربية) ، هو الذي اقام عمود الادب العربي منذ ظهوره فعلى هديه اخذ الكتاب

والريبو ، والوالدة ، والامزجة ، والشلل ، والمثلث ، والربع ، والدائرة ، والكون ، والحوادث ، والوجود ، والمرض ، والازل ، والإبد ، والبداية ، والنهاية ، والمطلق ، وما الى ذلك من آلاف المفردات التي تستخدم في مختلف العلوم والفنون . وبجانب هذه اللفاظ العربية الاصيل ، اقتبس العرب لفظ الآفراض الفاظا اعمجمية من لغات كثيرة وخاصة من الفارسية ، واليونانية ، والسريانية بعد ان هربوها وقلقوها بنهايج اللسان العربي . ومن ذلك الفاظ البند ، والديوان ، والمسكر ، والصريح ، والقيروان (اي القافلة) والطنبور ، والبابونج ، والزرنبيخ ، والمالخوليا ، والاصطلاح ، والطلسم ، والمنظيس ، والقانون ، والاسطول ، والبارجة ، والفلسفة ، والميولى وعلم جرا .

وقد جرت هادتهم في الغالب ان يبحثوا للمعنى الجديد من لفظ هربين عن طريق الاشتغال - الذي هو من اهم خصائص اللغة العربية - او من طريق المجاز ، واذا اميتهم الجملة عدوا الى تعریف اسمه الاجنبي . وكثيرا ما يلجاون الى هذه الوسيلة الاخبارية من باديء الامر ، اذا كان اللفظ يدل على معنى اصطلاحي دقيق يخشون مسامعه في ثوابا اللفظ العربي .

- ما كان من آثار القرمان في الادب العربي :

وأول آثار القرمان الكريم انه جمع العرب على لغة قريش ولهجتها الفصحى . وحقاً كانت هذه اللهجة تسود القبائل في الشمال زمن الجاهلية . غير ان هذه السيادة لم تكن ثابتة فقد كان الشمراء هم الذين يستخدمونها غالبا .

اما قباليهم فكانت تلوى لهجات تختلف من اللهجة القرشية قليلا ، وكثيرا ، حسب قربها من مكة او بعدها . لعمل القرمان على تقويب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة لللهجة القرشية ، اذا كان العرب يتلون آياته وسوره آباء الليل واطراف النهار ثم اخذت هذه اللهجة تم بين القبائل البدوية متقللة في الانحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم العامية ولما نفتحت الفتوح ، ومصرات الامصار ، اخلت لهجته تسود في مشارق الارض الاسلامية ومحاربها ، اذا كانت تلاوته فرضا مكتوبا على كل مسلم ومسلمة . وحيث الاسلام على حفظه ، ولاؤته .

اهلها لأنها لغة فطرية ونظرية تدريجية ، من اقدم اللغات السامية ، وهي اصلها على رأي كثير من علماء عصرنا الشرقيين ، والغربيين . ثم يقول هذا ولا يمكننا ان ننسى ان الامر اب والايجاز ، والسبع ، وكثرة المترادفات ، ودقة التعبير ، تفاصيل الى خصائص هذه اللغة التي هي من اقدم اللغات الحية. فليس في العالم اليوم لغة ممكية اقدم منها . ولا تزال تحتفظ بالاهماب تماما كاملا شأن جميع اللغات القديمة .

اما اللغات المذكورة فعلى رأي الاستاذ الجليل عمر فروخ فقد فقدت الامر اب في اللغة الدانماركية، واللغة الروسية ، وهناك للامر اب في اللغات الباقية. ويبدو ان اللغة العربية ، الفصلت من اخواتها الشمالية من اللغة السامية الام منذ زمن بعيد جدا ، ثم هادت فانفصلت من المجموعة الشمالية ايضا مند زمن بعيد .

ونحن اذا دققنا في اللغات السامية وجدنا اللغة العربية اتها صيفا واكملا صرفا ونحوها ، وارقاها بيانا وبلافة ، واحسنها اسلوبا ، فمن اجل ذلك لا يستبعد ان تكون هذه هي اللغة السامية الام والفصحي ، وان البابلية ، والكنعانية ، والأرامية والحبشية لهجات لها ، ومع كثرة الصلات التي كانت بين هرب الشمال والجنوب منذ اقدم الازمنة فان لغة حمير ابتدعت كثيرا من اللغة الضدية (المربيبة الشمالية التي نزل بها القرآن حتى قال ابو عمر ابن العلاء منذ صدر الدولة العباسية (ما لسان حمير واقامي اليمن بلساننا ولا هربتهم بعربيتنا) .

وكان جميع العرب الذين يسكنون النصف الشمالي من العزيرة في البحرين والبمامدة ونجد والهجاز سواء أكانوا ينتسبون إلى مصر أو اليمن ، يتكلمون لغة واحدة ، وينظرون اشعارهم منها .

ولقد رأينا شعراً الجاهلية من اي المواطنين كانوا ينظمون قصائدهم بلغة واحدة في كل شيء ، ثم يحملون تلك القصائد لينشدوها في اسوق العرب او في جميع البلاد العربية في العراق والشام ، وحتى في اليمن نفسها مما يدل على ان لغة مصر كانت في الجاهلية اللغة العامة للعرب .

وبالرغم من هذا لم يمنع ان يكون للعرب لهجات محلية مأثورة في قبيلة او قبيلة . على ان معنى اللهجة هنا ، ائما هو استعمال الناظر مختلفة

والخطباء والشعراء يصوغون آثارهم الادبية . مهتمدين بدبياجته الكريمة وحسن مخارج الحروف فيه ، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ، وحيث تجلی من مغزاها مع الرصانة ، والعزلة ، والعلوة .

وكان العرب ولا يزالون يتحفظونه ، فهو مجمهم الفوي والادبي الذي ساروا على هداه مهمما اختفت اقطارهم او تباعدت امساكهم ، وامصارهم.

ويأتي الحديث الشريف بعد ذلك من حيث الناير على نشر اللغة العربية وتأديبها ، لانه نصل او كان اصول الدين ، واحكامه التي انت مجملة دون تفصيل . وهو عماد السنة ، والرسول اوتى جوابع الكلم ، ولم يتكلم بكلام كما يقول الجاحظ « الا وقد حف بالعصمة ، وشيد بالتاييد ، ويسر بالتفقيق » . وكان له الامر البالغ في توسيع المادة اللغوية ، بما اشار من الفاظ دينية وفقمية . واحاديث الرسول المسندة ذات الفاظ عربية سليمة ، وكتنز لم يبن لها . وقد استمد المتأدبون من هذا الكنز في رسالتهم واعمارهم ما اضاف اليها على مر العصور رونقا وحلوة .

- خصائص اللغة العربية ومميزاتها التي ساعدت على نوها ، ونمو العلم ، والادب :

تميز اللغة العربية من سائر اخواتها اللغات السامية ، ومن سائر لغات البشر بوفرة كلماتها حتى قال السيوطي في « المزهر » ان المستعمل والمجهور منها يبلغ عدده (12.313.780) والزيادي يقول في « ناج المرross » ان الصحيح يبلغ (6.620.000) والمعدل يبلغ (6.000) كلمة وذكر ايضا ان كتابه حوى (120.000) كلمة .

وعدا عن وفرة المفردات فانها ذات اطراط في القياس في ابنتها ، ومن هذا ومن تنوع اساليبها ، وعلوتها منطقها ، ووضوح مخارجها ، وجود الاشتراق في كلماتها يقول الاستاذ الفاضل محمد عطية الابراشي في كتابه الادب السامية . وقد صانت هذه الخصائص اللغة العربية زمن جاهليتها فرونها سعيدة ، وهي في جزيرة العرب ودفعت تقديمها في النظرية التي نشأت مليها آمنة شر الامتنان بالفاطحين ، او لهجة الغيرين حتى ظن كثير من العلماء انها وليدة الواضحة واسطلاح متعمد من حكماء

د - ومن ذلك ايضا نظام جمع التكبير الذي لا تشاركتها فيه الا اختها الجنوبيتان اليمنية القديمة ، والجعشية . فقد توسمت هي توسمتا كبيرا حتى اصبح للفرد الواحد عدة جموع من هذا النوع ، (كثير وانهر ، ونهر ، وانهار . وبصر وبخار ، وبحور وباهر) .

هـ - ومن مميزاتها النحوية تلك التوأم الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الامراب والننس تتمثل في اصوات جد قصيرة تلحق اواخر الكلمات ، لتبدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من هناءر الجملة ، وهذا النظام لا يوجد له نظير في اخت من اخواتها السامية ، اللهم الا بعض آثار ثانية في المبكرة والأرامية ، والعبرية .

و - ومن خواص اللغة العربية ومميزاتها ، أنها اوسع لغة في اصول الكلمات والمفردات ، من اخواتها اللغات السامية ، هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انواع الكلمة اسمها ، و فعلها ، و حرفيها . ومن المتزادات في الاسماء والانفعال ، والصفات ، ما لم يجتمع مثله في لغة اخرى . نلقد جمع للأسد خمسماية اسم ، والثعبان مائتا اسم ، وللسل اكثر من مئتيني اسم ، ويروي الفيروزبادي صاحب القاموس ان السيف في العربية الف اسم على الاقل ويقدر آخرون ان للداهية اربعمائة اسم ، ولكل من المطر والربيع والظلام والنافقة والحجر ، والماء ، والبئر اسماء كثيرة تبلغ مئرين في بعضها ، الى ثلاثة في بعضها الآخر . وقد جمع الاستاذ (درهم) المفردات العربية المتصلة بالجملة وشروعته فوصلت الى اكثر من خمسة آلاف وستمائة واربعة واربعين وكذلك الشأن في الاوصاف للكثير من الكريم والبخيل ، والشجعان والجبان ... في اللغة العربية عشرات الالفاظ وقد احسن بيان ابن سيد في كتابه « المخصص » ، كما احسن ابن جنبي في كتابه « الخصائص » ، وكما افاد كثيرا من العالبي (في كتابه فقه اللغة) وكان صاحب تهذيب اللغة ابو منصور محمد بن احمد الازهري المولود سنة 282 والمتوفى سنة 370 من خدم اللغة واجاد في بيان خصائصها ومعانى مفرداتها ويوجد كثير من علماء اللغة من اتوا في قواميسهم وكتبهم ما يدل على فصلهم وبحرهم ، وعلى ما في اللغة العربية من خواص ومفردات تعد بعشرات الالوف كما تقدم ذكره.

للمعنى الواحد فى بعض الاحيان ، والمعنى بصيغة
متباينة لتلك الالفاظ احياناً . اما التركيب ، واما
النحو والنطق اللغوى ، فكانت كلتا واحدة .

ويقول الاستاذ علي عبد الواحد الوافي اول من اهم خصائص اللغة العربية عاملان لم يتم تواترا
للتبرير بها من اللغات السامية . احدهما انها نشأت في
اقدم مواطن الساميين . وثانيهما ان الموقع الجغرافي
لهذا الوطن قد ساعد على بقائها حيناً من الدهر
مشتملة باستقلالها وعزلتها .

وكان من اثر هذين العاملين ان اختلفت باكثير
قدر ممكنا من مقومات اللسان السامي الاول ، وبقي
فيها من تراث هذا اللسان ما تبردت منه اخواتها
السامية فتميّرت منها بخواص كثيرة منها ومن
اهمها الامر الایة :

١ - إنها أكثر أخواتها احتفاظاً بالآيات
السامية ، فقد اشتغلت على جميع الآيات التي
لا يخواطها ، وزادت عليها بآيات كثيرة لا وجود لها
في واحدة منها وهي (الناء ، الذال ، الطاء ، المين ،
الصاد) .

ب - انها اوسع اخوانها ثروة في اصول الكلمات والفردات فهي تشمل على الاصول التي تشمل عليها اخوانها السامية ، ومعظمها ، وتزيد عليها باموال احتفظت بها من اللسان السامي الاول . ولا يوجد لها نظير في اية اخت من اخوانها هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انسواع الكلمة اسماها و فعلها وحرفيها ما لم يجتمع مثله للغة سامية .

ج - وتمثّل اللغة العربية من غيرها بأن الأصل الواحد يتواجد عليه مئات من المعناني بدون أن يقتضي ذلك أكثر من تغييرات في حركات أصواته الأصلية نفسها مع زيادة بعض أصوات عليها ، أو بدون زيادة ، وأن كان ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشدة مثلًا (علم ، علمنا ، أعلم ، يعلم ، تعلم ، أعلم ، ألمي ، علم ، نعلم ، تعلم ، تعالى ، علم ، يعلم ، علم ، علامة ، علم ، علوم ، أعلام ، علامات ، علمي ، علامة ، علماء ، عالون ، متعلم ، معلم ، معالم ، معلم ، معلم ، معلوم ، عالم ، عالون ، عالم ، عالم) ... الخ. هذا ولم تعل أي لغة سامية أخرى في هذه الناحية والتي هي الشأو .

- اللهجات العربية وسبب حدوثها وماذا تشتت؟

- ما هو المرجع للغة العربية وتوحيد لهجاتها والباعث لحلحلة اللهجات وسلامتها؟

مهما يكن واقع الحال في تعدد اللهجات في الماضي والحاضر فلا مرجع لتقويمها وإزالته منعها وتتوحد لحفظ النصي وتعيمها ونشرها واستكمال سلامتها إلا بنشر العلم وتقوية الثقافة الخاصة وال العامة ، وانتشار التعليم والقضاء على الأمية ثم إنشاء المأهاد العلمية والجامعات والمدارس العلمية واللغوية وإنشاء الكليات والمدارس الثانوية والابتدائية وتعريب الجمادات العلمية والأدبية والفنية والكتبات والأندية من المطابع والأكاديميات تأليف الكتب في كل علم ولن وبعث ، وإن تكون الفصحي لغة التدريس والتلقيح والنشر خاصة لغة الصحف والتمثيل ، والإذاعة ، والإعلان والخطابة فيجب أن تكون هي اللغة الفصحي ، واللهجة الفصحي مع كل هذه المقومات اللغوية والثقافية مرجعها الأول وحافظها الأقوى والأعم هو القرآن والحديث ولا يزيل ضعفها ويوحد لهجاتها ويقوم معوجها إلا الأدب العربي السليم في الشعر والنشر والكتابة ، والفناء ، والتمثيل ، والإذاعة ، والإعلان ، وما يشمله الأدب العربي من تاريخ ومحفوظات ومخطوطات وطبعات ، والأمية كلما زالت ، أو تقارب كتب التعليم ومناهج التعليم من جميع درجاته في البلاد العربية وتوحدت ، وامت الوحدة الجامع اللغوية والعلمية ، وتطورت وساعدتها الحكومات وأمدتها المؤسسات الأهلية بما يلزمها من المساعدات المادية والمعنوية لتفاهم العرب وأسرموا بتقددهم ودقائهم وتشبيه حضارتهم بالقوة التي كانت لإباهم في فجر الطلعات الأولى وهي مصوريهم الذهبية والملوكي يؤيد من ينصره وهو على كل شيء قادر .

اما اللهجات العربية فالبحث عنها ولا شك هام . ويحتاج الى دراسة خاصة لأنها يجب أن تتناول اللهجات القديمة والحديثة . وهي متعددة كل منها بحسب القبائل ، والأقاليم ، والأماكن ، والطبقات من المجتمع العربي ويحسب البيئة والثقافة ، للمرأة لمجتها ، وللمرأة لمجتها ، وللمغرب لمجتها ، ولبلاد الشام لمجتها وكذا لليمن ، والبحار ، والكويت ، ونجد أيضاً بلاد شمالي أفريقيا لمجتها . وذلك لاختلاف الأقوام والقبائل التي تسكنها واختلاف حياتهم ومعيشتهم وحضارتهم .

وهو أمر طبيعي يتبع قانون التحول ، والتطور ، والانتخاب ، وال حاجة ، والنسارع ، والترىبة ، واختلاف اللهجات قد يتناول الأصوات ، وقد يتناول بنية الإلفاظ وأعرابها ، وقد تكون الإلفاظ أصلية أو دخلية ، منحوتة أو معرفة ، محرفة أو مشوهة ، وقد يكون معناها مختلفاً عن غيرها .

وقد يكون الدخيل الأعجمي أو المنحوت ، أو المشتق قليلاً أو كثيراً بما تقدم المجتمع وتأخره في العلم ، والمدنية ، وتبعاً لكون أصحاب اللهجة المختلفة من الحكام أو المحكومين أو من المستعمرات أو من المستقلين ، وتختلف لهجات المدن عن الارياف ، وفي القطر الواحد قد تعدد اللهجات بين النساء والرجال وبين أقسام المدن ومحلاتها وأحيائها ، وبين أقسام المتعلمين ، والأميين بحيث يصعب على ابن هذا القطر الواحد أن يفهم الكلام الدارج من ابن القطر الثاني كما تختلف اللهجة رجال العلم ولغة أرباب المهن والحرف والصناعات والأعمال من رجال الفن ، والأدب والحكومة وأرباب الحكم والإدارة ورجال الحرب والامن .

العَرَبِيَّةُ وَرَجَالُ الْمَهْجُورِ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَفِيدَ الْعَرَوَيَّةُ وَالْإِسْلَامُ مِنْ آلَافِ الْأَخْتَصَاصِيَّاتِ الْعَرَبِيَّاتِ فِي «مُهَاجِر» أَمْ إِمْرَيْكَا؟

مدير مكتب الجامعة العربية
بوينوس - إيرس

توصلنا من حضرة الاستاذ فؤاد الشايب مدير مكتب الجامعة العربية في بوينوس ايرس بامریکا الجنوبيّة بجواب متأخر من الاستفتاء حول علاقـة الاسلام باللغـة العـربـية وهو يلقـي اشـواـء جـديـدة عـلـى المشـكـلـ من جـهـة خـاصـة تـقـلـدـ بـرـجـالـ المـهـجـرـ العـربـ لـى القـارـةـ الـاـمـرـيـكـيـةـ وـنـعـنـ نـشـرـهـ شـاكـرـيـنـ :

ان معـيـرـ اللـغـةـ العـربـيـةـ فـيـ الـمـهـجـرـ يـقـيـ اـبـداـ فـيـ قـمـةـ الـمـشـاـفـلـ وـالـاهـتـمـامـاتـ الـتـىـ اـهـابـهـاـ وـيـدـيـ مـغـلـولـةـ إـلـىـ هـنـقـىـ. مـسـىـ انـ يـكـونـ فـيـ اـمـارـةـ الـمـشـكـلـةـ ،ـ وـالـتـماـونـ لـىـ مـجـاـبـهـتـهـاـ مـاـ يـضـعـنـاـ وـاـيـاـكـمـ فـيـ الـطـرـيقـ الـعـلـمـيـ وـالـعـلـمـيـ الـصـحـبـيـةـ ،ـ التـىـ يـلـفـ (استـفـتاـزـكـمـ) مـرـاحـلـةـ ضـرـورـيـةـ مـنـ مـراـحلـاـ الـاـوـلـيـةـ .

وـاـنـىـ اـذـ اـشـكـرـ لـكـ اـشـراكـيـ فـيـ الـاسـتـفـتـاءـ ،ـ اـفـتـنـمـ الـفـرـصـةـ لـادـلـىـ بـيـمـضـ الرـايـ الصـرـيعـ ،ـ الـدـىـ يـتـجـاـزـ الـدـرـاسـةـ إـلـىـ حـيـرـ الـعـلـمـ السـرـيعـ الـنـقـلـ ،ـ فـيـ مـجـاـبـهـةـ التـفـقـيـةـ .ـ رـاجـيـاـ انـ يـكـونـ شـفـقـعـ هـذـاـ الرـايـ ،ـ شـعـورـكـمـ مـعـنـاـ بـاـنـ الـدـىـ يـعـيشـ معـ الـمـعـنـةـ مـنـ كـثـبـ ،ـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ اـنـ يـنـظـرـ اـلـيـاـ بـقـلـبـهـ وـلـسانـهـ ،ـ دـوـنـ يـدـهـ .

مسـىـ انـ يـكـونـ لـكـ وـلـناـ بـعـضـ بـعـضـ الـيدـ الصـفـيرـةـ ،ـ فـيـ الـمـرـودـ مـنـ مـرـاحـلـةـ التـفـكـيرـ إـلـىـ مـرـاحـلـةـ التـدـبـيرـ .

جاء الاسلام والعرب ثقافة ودولة، كانت العربية، في مصر النبي، مهياً عبر اطوار متعددة من التطور والتكامل، لأن تكون لغة الدولة، وحاملة رسالتها الثقافية.

هذا التلازم الفروبي، ما يشير الى أهمية سلطان الدولة، في اقامة كيان الثقافة والحضارة.

على انه بالرغم من أهمية حامل السلطان السياسي، في تكوين الكيان الثقافي الحضاري، فقد ناضل الاسلام، واللغة، منفردين او مجتمعين، طوال حقبة ويدون سلطان الدولة، نضالاً جباراً ضد فوى الظلم والظلم، بما لم يتيسر ويتوافر كلّه، لاي دين وابية لغة في نهضات الزمن الاخير.

على انه يجب القول هنا، انه بينما كان الدين منتصر مقاومة، في كثير من الحالات السلبية ضد الصياغ والخصوص، كانت اللغة، من جهتها، منتصرة هجوم في معاقل الظلم والظلم، ومع اطلاع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان يشهد في سماء الشرق ان اللغة العربية فدت طليعة الاشراق العربي الجديد.

ومنذما تبادل العرب الى ثورة قومية ضد الدولة العثمانية المتلبسة بالاسلام، وانحرس قناع المداء التركي للعنصر العربي، بحيث خدا الدين شعارات سياسياً، وليس ايماناً، وليس صدقاً وحقاً، كانت اللغة العربية تقف على قدميها من جديد، في دعوة الى احياء التراث الحضاري ضد مزوري هذا التراث الدالبين على طمس معالله وجوهر ثقائده.

ومعبر اللغة بدأت حركة تلاقي فكري بين الشرق والغرب، بالترجمة والنقل، من اهم مظاهرها في القرن التاسع عشر، ادب النزهات القومية. ونشأت اجيال عربية جديدة في دور ثقافي رئيسي: احياء التراث العربي وتأكيد وجود القومي المشترك.

ومن اهم ملامح الدور القيادي الذي تهضي به اللغة العربية، ثروا وشعرا في المواطن العربية نفسها، وفي المهاجر التي ترث اليها النازحون، ان شارك المثقفون، مسلمين وسبعين، في احياء التراث العربي وفي الدعوة الى قومية عربية مستمدة من ابعاد هذا التراث. ولا يجهل باحث في ادب القرن التاسع عشر وطائع المشرين، اسماء الاعلام العرب الذين كانوا على القيادة الفكرية في المواطن والمهاجر.

وفي المهاجر بصلة خاصة، وباندفاعة نادرة المثال، تفنى الشعراء والمؤرخون بامجاد الامة الواحدة،

فاذما قلنا ان اللغة العربية تعززت بالقرن، كان ذلك صحيحاً، واذا قلنا ان الاسلام اعتبر باللغة العربية، وسائل على اسلام اقامها، كان ذلك صحيحاً ايضاً. فالوحى اختار منزله الصالح في الارض، والنزل الصالح تأسى حتى استحق استيعاب الوحى.

ان مدى التلازم والترابط بين الاسلام واللغة مدى غير محدود. فاذا نظرنا الى كيف اصبت اللغة العربية اداة الادب والعلم والحضارة عامة، فيما تجاوز التخوم العربية الى بلاد فارس والروم، وكيف اصبح لتاريخ الفكر العربي اشراق حضاري سامي فيه مشقتو مصر، من اختلاف اعراقيهم، ادركنا اهمية الحدث الحضاري، في تلازم الاسلام واللغة بما في تكوينه، دون ما تناضل او تشارد بين سهم الدين وسم الله في حركة التكوين هذه.

من حيث اللغة، لم يكن في تاريخ مصر، بين لغات الارض، ما هو اكثر تفجراً واشتمالاً من اللغة العربية، فمن حدود السلطان العربي الاسلامي وخارج حدوده ايضاً.ukan لزاماً على كل من يريد ان يعلم ويتعلم في هذا المدى الجغرافي الواسع، ان تكون بين يديه كبرى ادوات العلم والتعليم: لغة العرب

من حيث الدين فقد سجل الاسلام حدثاً نادياً في تاريخ تفجر الحركات الانسانية على انه توحيد بين الدين والثقافة في تناسق من الاشراق الفكري والتنوع الانساني. وكان الفتح، بخلاف الكثير من الفروع في العالم، ثورة ثقافية جديدة همت لها القلوب قبل الرقاب. ويدعي ان شرق اللغة، في حمى الدولة، دينها ثورة ثقافية ورسالة حضارية.

وما يقال في تلازم الاسلام واللغة العربية، يقال في تلازمهما غرباً. لكن تلازم الغرب تدللته صلة خاصة، اذ ليس ضعف اللغة هو الذي ادى الى ضعف الاسلام والدولة العزيزة. بل بالعكس. فان تقلص ظل الدولة قد ادى الى تقلص ظل اللغة. وفي

الاربعمائة الف نسمة - بل اكاد اقول - دون النظر الى العدد الفيئل المحدود من المنشورين - ان ليس للثقافة الاسلامية ان في تكوين شخصية المسلم المجري . نلا هو يتلقى الفكر الاسلامي من العربية ولا هو يتابعه من الاسانية في اقل تقدير . انه سلم لانه لا ينكر لمولده الديني ، ولكنه يفرق في المجمة باستمار . وان يكن فخورا باتساعه فلا يكفي ان يكون الفخر وحده عاملا للمقاومة والاستمرار .

بل لنقل المكس في تأثير اللغة الخارجية على العربي المسلم في المهاجر . ان صديقا لي يدمن حسين عباس ، هو في البوسنة وفي المجتمع (خوسيه ايه) . اما (خوسيه) فهي ترجمة (حسين) . واما عباس فقد أصبح (ايه) ، كما أصبح عبد الكريسم (اميريكوا) . وهكذا يريد الدولة ان تعطي رهابها اسماء تتسمج مع اسمائها ، لينتصر المواطن في وطنه الجديد . وفي هذا الوطن الجديد ، الوف المدارس الاجنبية للاتكيل وللفرنسيين وللبرتغاليين ، كجاليات ، بل للبهود مثاث المدارس ومشرات للارمن . وليس للجالية العربية التي تبلغ المليون نسمة في المجر الارجنتيني ، سوى بضعة مراكز للتدريس العربي غير النظامي لا يكاد يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة .

ايها السادة في المكتب الدائم لتنشيق التعریف - في الرابط

انني اذ انھی فی جوابی من سؤالکم حدود السؤال ، الى طرح قضية ومعالجة مأساة ، ثلاني اريد ان اهتم بالفرصة لاخاطبکم ليس كمكتب تعریف تھب بل کجامعة توجیه ایضا ، لاسیما وقد تجاوزتم فی سؤالکم المحیط العربی الى المجتمعات خارج الوطن العربي .

ليس شانی في هذه المجالة ، ان امنی في كيف يصح اسلام المسلم في باكستان - وایران وتركيا والصين مثلا - بل انى لامني حقا في كيف يصح اسلام المسلم العربي بالذات في مهاجره الاسيوية والافريقية والامريكية . والسلم العربي ، كما ارى بوضوح ، لا يمكن ان يصح اسلامه الا بعربيته ، كما لا يمكن ان تصح هروبية اي عربي آخر الا بعربيته ايضا . ان صاحب الرسالة مسؤول ، والعربي هو وريثها الوحيد . وقد رأينا كيف نهضت

التي تحدرت دولة وكيانا من فجر الاسلام . وجرت كلمتنا (الاسلام) و (العروبة) على اقلامهم ولموانهم متراوحتين غير منفصلتين في الجوهر . وسابقت محاذل الشعر الى احياء ذكرى الولد النبوى ، في عواصم المهاجر ، ولم يدخل ديوان شاعر مسيحي من تصيده او قصائد تتفنن بمعجد الرسول على انقام نهج البردة وعلى انقام واوزان سواها . وبهذا تتجلى مبقرية اللغة العربية مصمدة بالعمل الادبي ، في احياء التراث منظورا اليه في كلية المطلقة ومعانبه الخالدة .

من هذه الزاوية ننظر الى كل دعوة تمس كيان اللغة وجوهرها ، كانها دعوة الى توهين العروبة والاسلام على السواء .

ومن هنا ننظر الى صصف الاسلام في نفوس المهاجرين المسلمين الذين نزحوا الى المهاجر الامريكية ، على انه صصف في اللغة التي تمارس بها المقيدة ، وان تكون نمة اسباب اجتماعية وجديدة في تفسير تضاؤل الوهي الاسلامي ، فيجب الا ننسى ان من اخطر بواعث الوهن الديني وهن اللغة فيربط ما بين لسان المزم وشعوره .

وقد شهدت جمهورا مسلما في جامع مهجري ، يصنف الى واهظ خطيب يندفع بلافة وبيانا ، حتى انتقلت الى الجمهور حماسه كما تنتقل الكربلاء ، وراح بعضهم يبكي وينشج . نسألت بعضهم : لماذا تكون ؟ انهمون كل ما قاله الواقع ؟ قالوا اتنا نبكي لأننا لا نفهم .

وجاء المترجم يلخص ملة الخطيب ويترجم بعض الآيات فتحركت الرؤوس مرتعشة ببعض المعانيس . ولكن الوجوه غلت جامدة والعيون مطشى لا يطال منها ذلك الاشراق العجيب الذي يبعث من الامساق ، حيث تغترق الكلمة الشفاف وتستقر في منابع الاشراق . وتوارى الترجم كأنه انترف ذنبا واحتاط الجمهور بالخطيب وهم لا يعرفون العربية وهو لا يعرف الاسانية ، وفي ميون الجميع ذلك الوله الذي يصر من مجر البلوغ وامتناع اللقاء .

ولى الجواب من نقرة من سؤالکم اقول :

ليس للذكر الاسلامي من طريق لغة القرآن ، اي تأثير في لغة الجالية الاسلامية العربية في الارجنتين ، او في لمجانها . ومددها يكاد يبلغ

اللغة العربية في بدء عصر النهضة الحديثة ، بدور الذين والدولة معاً في قيادة المكتب العربي الصاعد . وليس من شك في أن هذه الظاهرة الرائعة حدثت من احداث التاريخ جدير باهتمام الباحثين ودراسة نسباتهم والحاكمين المسؤولين مثلهم أيضاً .

ان رقم المليون هرفي مسلمًا ومسيحيًا ، في الارجنتين يلتفت الى اربعة ملايين حتى الخامسة في دول أمريكا اللاتينية . ومنذها نمود الى تاريخ هذه الهجرة العربية الضخمة ، منذ مائة عام ، تفكير في مآسيها وفواجعها . ولكن عندما ننظر اليوم الى واقع هذه الهجرة ، لا ثبات ان نحمد هواقبها من باب لا تكرهوا شيئاً لعله خير لكم . انكر في الرخم الروحي والثقافي الذي اعطته هذه الهجرة لتاريخ اللغة العربية والفكر العربي في المهاجر . وانكر في هذه المиграة التي تمت على ايدي المهاجرين الرواد ، احياء امجاد الاندلس في الامريكتان . ثم انكر في تلك الانطلاقة المستقبلية الكامنة في اعمق اربعة ملايين هرفي ، مندما تستطيع ان تفجرها اللغة العربية ، والتعليم العربي ، فتردها للعروبة قوى هائلة في كتل بشريه ضخمة تدعى نفسها لستقبل عالم جديد بينما هي اليوم في واقعها قطع جليديه مبعثرة في العฤษ ، آخذة يوماً بعد يوم بالذوبان او بالانحدار نحو القاع .

اريد ان احفظ قليلاً فاقول : **لولا مجاهدات مشكورة الخلت طابعاً جدياً في الامور الاخبارية ، لاحياء الدين الاسلامي في قلوب المسلمين ومقولهم من جهة ، ولو لا ما تشيره قضية فلسطين في نفوس هؤلاء القوم العرب او من أصل عربين ، من جهة ثانية ، وكانت الصورة اكثر ظلاماً . ولكن هذا وذاك ، لا يتذرع باللغة العربية سبيلاً الى احياء الدين او احياء الشعور القومي . وان تذرع فقليلاً جداً . ويبدو بالاجمال ان هناك فحولة لدى قادة الرأي ، من اهمية اللغة في ربط ما بين العربي وذاته ، وربط ما بين العرب وقوميته .**

مثال ذلك :

انا لا اافق على ان احياء الدين الاسلامي لدى المهاجرين ، يمكن ان يسلك مسالك التبشير المسيحي في الاصقاع البعيدة ، حيث يتم التبشير بلغة الخط . وونق لمجاهاتهم وتصوراتهم المحلية ، كان

يصوروا مريم العذراء - مثلاً - بصورة صينية او هندية او زنجية ، تقريباً للصورة من الاهانيم ووجوداتهم . والفرق ان الاسلام مفروض في العروبة والعربيه ، وبهذا يتميز كرسالة سماوية ، وانسانية ، عمما سبقه من اديان .

ومثال ذلك ايضاً :

في تجارب الشخصيه ودراساتي للادب المهجري في اوائل هذا القرن ، ان الادباء والشعراء المسيحيين ، الذين كانوا رواد نهضة ادبية مشهودة في الامريكتان قد وصلتهم لفتهم ومصلاً ووجهاً قوياً بفهميتهم ويتراهم العرب ، الذي في قمته القرآن الكريم . وكانوا أكثر وعيًا وفهمًا للإسلام ، وامتزاجاً به ووناء لحقه عليهم ، ليس أكثر من العامة العربية فحسب ، بل أكثر من العامة الاسلامية نفسها . وذلك من بديهييات نفاد اللغة إلى التاريخ والتراجم ، ومن وهي هذا التاريخ ، وهذا التراث الحضاري بلغته لا يمكن الا ان يعجبه ويفني له .

ومثال ذلك ايضاً :

انه قد غدا من الثابت ، في السابق واللاحق ، من دراسة ثقافات الدعوة وسير حبائهم - من اجانب وعرب - من دعوا الى التأليف والكتابة بالعامية ، حتى سمع دعوا الى الكتابة باللاتينية ، انهم اصحاب افراط واهوء مشبوهة . بل خرج بعضهم من الشبهات الى الافتضاح ، وفقدوا يشار اليهم بأنهم يعادون العربية لأنهم يريدون أن يحررها انفسهم من تلازم الدين واللغة والعروبة ، أما لأنهم يخشون العروبة ، أو لأنهم يخشون الانثنين معاً . وليس من شك بعد في ان الدعوة الى العامية محاولة تحطيم جوهر الوحدة ، والدعوة الى اللاتينية بحججة العالمية ، محاولة تحطيم مجد الرمز . فاللغة العربية ، بالدولة العربية القادر ، غدت خلال قرون طوبية لغة الشعوب في آسيا وافريقيا وأوروبا . وقد انها العربية بين يديها ولم تهدى هي سلامتها تحت اقدام العالمية . وادينا العربي العدين ، قد قصر عن العالمية ليس لأنه مكتوب في العرف العربي بل لأن الادب الجديد نفسه كعنصر ابداع ، لم يرق بعد إلى العالمية . وما يجيء منه يعني الان ، موجود في مكتاب العالم ، مترجمها مصنف اليه محظى به ، ثم لا ينسى شأن الدولة في الروزن الى المستويات العالمية .

- 2 -

الاستنتاج بنتائج مختصرة :

من المفيد ان تعلم الدول العربية بان حكومة الارجنتين - مثلا - تشجع تшибير المدارس النظامية التي تدرس لغة البلاد وآية لغة اخرى ، ما دام البرنامج نظاميا . والمساعدة الحكومية يمكن ان تبلغ السبعين بالمائة من ثمن الارض والبناء . كما قول الاخوان في هذا ؟

- اقول يجب ان ياتي المدرسوون من البلاد العربية حاملين علما واخلاقا وشحودا بالمسؤولية الكبرى . ليس لأن المدرسيين مجرد مساعدة (الانفاقية) بل لأنهم يتولون رسالة ويقومون بدعمها . وهذا اهمية الفكرة .

بدأت الجامعة العربية بتأسيس صندوق الدعوة العربية . وليس اهم ولا اجل من ان تبدأ الدعوة العربية من اللغة العربية ، ويكون الانفاق على (اللغة) جزءا كبيرا من الانفاق على (الدعوة) : الدعوة للغة، الدعوة للتراث العربي ، الدعوة للفلسطينيين . وكيف تنفصل الدعوة للفلسطينيين عن الدعوة لها في الجاليات العربية التي هي في المقام الاول سلاح الدعوة ويجب ان تكون سلاحها ؟

- وفي رأيي الاخير ان صندوق الدعوة العربية باشراف الجامعة العربية ، يجب ان يتكامل ويتضافر بمساعدة الدول العربية والجماهير العربية ، وان يملن بان تعليم ابناء المفتريبين جزء من الدعوة ، وموارده ونفقاته جزء من موارد صندوق الدعوة ونفقاته .

- 3 -

قد يعرض معارض ويقول : ان الامية تسود ارجاء الوطن العربي بحسب تراويخ بين خمسين بالمائة وسبعين بالمائة . واولى بالدولة العربية ان تعنى باميها قبل ان تعنى بمعاهديها والامراض مرفوضة لاسباب ، اهمها :

اولا - ان المواطن العربي يربيه وطنه وبووجهه ويواصله روحيا بأخلاقية الوسط والمجتمع ، ولا خوف عليه من الضياع .اما المهاجر العربي فهو (يتيم العرب) والماهرون يتأملى لا صلة لهم بأرضهم ووطنه فما حكمة القول ان نتركهم يتامى .

- المهاجرون العرب وابناء المهاجرين بحاجة ماسة وعاجلة الى تعلم اللغة العربية والتدرج في فهمها ، ابتداء واماكمانيا وثقفيها .

- حتى الان تراحت الدول العربية ، منفردة او مجتمعة ، من تقرير خطة مدرستة وتنفيذها .

- اهم ما يجري من حوار حول هذا الشأن قول الدول العربية انه من شأن المفتريبين العناية بلغتهم ، لاسيما وان كثيرين منهم اصحاب ثروات وقدرات . وقول المفتريبين في الرد على هذا القول ان الدول العربية تهمل المفتريبين وتدير لهم ظهورها ، وهي التي يجب ان تفتح المدارس وتنفق عليها ، كما تفعل بعض الدول الأجنبية في مساعدة جالياتها المهاجرة - وبالفعل تفعل .

- ان هذا العوار سمعته منذ شرين عاما ، ولا يزال دائرا وسيظل دائرا ، كالرحي تدور على نفسها وليس ما تطمحه .

- بالحق ان المفتريبين اولى بالانفاق على مدارسهم . ولكن العبر الاساسي لهذه العمل يجب ان تدفعه الدولة العربية - اقول الدولة واهنى جميع الدول .

- فالقضية ليست قضية من ينفق ، بل هي الان واليوم قضية من ييدا . والدولة هي التي تبدأ والاهلون سيتولون الانفاق يقينا . ولكن بعد مرور مرحلة الحجر الاساسي .

- ان القيادات الفكرية في واقع الجاليات الحالي ، ضعيفة ، وغالبا ما تكون منتقدة والدولة العربية في المرحلة الاولى ، يجب ان تتولى قيادة الرأي . وانا على يقين انها ما ان تضع النار في الشعلة حتى يتكامل الاشتغال بناموس حركة الشارة .

- ان المدرسين يجب ان ياتوا من البلاد العربية ومهمهم خبرة التدريس ومواد التدريس وبعض المعنون المادي لهذه التأسيس . اما اشادة البناء المدرسي فيمكن بيسر ان يتم من قبل الجاليات .

ان مجتمعات جديدة ، مثل مجتمعات أمريكا اللاتينية ، تفتقر من جذور لها في الامم ، لانه ليس لها في تاريخها تلك الجذور . وهي بضم اتجاهاتها نحو الثقافة الاوروبية بدافع السياسة احياناً ، والتقليد للغرب احياناً أخرى ، لا تجهل أنها امتداد لحضارة اللغة الاسبانية التي تؤلف العربية خمسة مشر بالمالية من قاموسها الرسمي او اكثر (1) . وللاندلس الاسبانية التي عاشت في دم اهل البلاد لعوائدة سنة ، وظلت تعتقد وتنتشر بعد ذلك في العادات والتقاليد والاقوام النازحة هنا وهناك ، حتى بعد هروبها السياسي . ففي الارجنتين والبرازيل - مثلاً - يرمز الى رجل (الفاوتشو) - رجل الصحرا - على انه نموذج الاصالة الوطنية ، وعلى انه الدفقة العربية التي انساحت في ارجاء البلاد من الاندلس وعلى انه يمثل حقاً هرقة الاصول الاولى التي انفرست في الارض قبل ان تند اليها ونجد المهاجرين من اوروبا . وفي الارجنتين اليوم تيار ثقافي قوي يريد اعطاء البلاد اخلاقية عرقية ، هي اخلاقية الرجل (الفاوتشو) ساكن البلاد القديم ، رجل المروءة والحرية والفروسية ، ضد التيار الاوربي الغربي الذي هو في رأي بعض الوطنيين الارجنتينيين من هذه المدرسة توسيع شخصية الارجنتين الثقافية والأخلاقية - ولها الموضوع حديث طويل (2) .

اذن فلا الدين استوطنوا هذه المهاجر بعوائدهن ، ولا اوطنهن العربية بحاجة حقاً الى عددهم . ان خمسة ملايين في المهاجر الامريكي كلها يمكن ان تنتهي الامة العربية في مدى خمسة اعوام او اقل . ولكنها

ثانياً - اذا كان المواطن القيم جزءاً من بناء الوطن الداخلي ، فالموطن المفترب امتداد لكيانه المادي والثقافي معاً . وهو حياة اجتماعية اخرى فيما وراء حدود الوطن . وفي ظروفنا السياسية الراهنة ، يمكن ان يكون المفترب اجدى فعالية من القيم ، في خدمة بلاده وقضاياها الخارجية . وعلى هذا شأن المفتربين ثروة بشرية وموجة حضارية من الطراز الفريد في تاريخ العرب الحديث .

ثالثاً - ان النهضات في حياة الامم حركة شاملة ذات اجزاء متكاملة ، لا يهم بمضها لحساب البعض الآخر ، كان يعمل للسياسة دون الاقتصاد ، او للاقتصاد دون الثقافة ، او للرجل دون المرأة ، او للمواطن دون المفترب . هذا اذا وضعتنا بدبيبة اتنا امة ذات مستقبل ورسالة حضارية . واننا يجب ان نخطط لهذا المستقبل وهذه الحضارة . وللهفة تراثنا الحضاري الحال .

قد ي تعرض معترض آخر ويقول : نفس الامر واندمجت المجاليات العربية في محياطها وابتلعها اوطنها الجديدة التي تتنسب اليها وتندمج فيها .

والرد على الاعتراض :

اولاً - لا يهم ان تكون الاجيال من اصل عربي قد انتسب واندمجت . فالبلاد العربية بالواقع لا تفتقر عن مزيده من عدد الرعايا ، التي لا يضر اوطانها ان تحمل في جنباتها روحانية الثقالة العربية العرقية ، بل تفتح لها صدرها اذا وجدت .

(1) يعيش في مدينة (كوردوبا) المدينة الثقافية الجامعية الاولى في الارجنتين ، عربي سوري هو الاستاذ يوسف الفريب . وينصرف الى ترجمة الاصار العربية الى الاسبانية . وقد ترجم (كليلة ودمنة) و (معن الغيام) وبمجموعات من حكم العرب واقوالهم في كتاب (الحكمة العربية) ، كما ترجم جبران ونعيمة وشقيق المولف . وتفسى خمسة مشر ماما في ترجمة القاموس الاسباني الرسمي الى اللغة العربية ، في اكثر من ثلاثة الف كلمة ، مشيراً الى الاصل العربي للكلمات الاسبانية . وهو قاموس فريد من نوعه يقع في ثلاثة اجزاء جاهزة للطبع . والاستاذ الفريب في سن السبعين وبعتبر نموذجاً للرجل العربي المفترب الذي كرس نفسه لخدمة لغته وتراثه .

(2) يساعد مكتب الجامعة العربية في بيونوس ايرس احد الباحثين المؤرخين المعروفين (سيزار كيروس) في تأليف كتاب من الجدور العربية لرجل (الفاوتشو) . ومساهمة هؤلاء الصحفاويين الارجنتينيين في معركة استقلال الارجنتين ، كمحاربين اشداء وفرسان مروءة ووطنية .

ثالثاً - يقال إن الجاليات العربية تفشت في المرحلة الزمنية الأخيرة ، سياسياً وقومياً ودينياً ، وقدت مجموعة من المنشآت والابحاث .

وهذا صحيح . بقى أن نعرف بالتفصيل وجه هذه الصحة . أن أمرائهم ليست من صنفهم بل من صنع أوطانهم . والتفسخ هو بضاعة مصدرة من المواطن إلى المهاجر ثم إن هذا العالم قد تقلص أبعاده وغدت تجري أخباره بسرعة البرق . وهؤلاء العرب يعيشون في هذا العالم وليس في الكسوف المحبوبية من اجنبية الطيران والستة البرق . وكثيراً ما نجع في الإجابة عن تساؤلاتهم وحياتهم وش侃اتهم . ثم كثيراً ما نطلب إليهم أن يذروا ظهورهم لمشاكل أوطانهم . ويكون الابعدون قدوة للأقربين . ولكن كلامنا بالحق ليس سوى (موظفة حسنة) .

ومع ذلك فكثيراً ما جردوا قضية أوطانهم بغيرها ورفعوها إلى مستويات العقائد والكلمات وتجاوزوا مع ثورات أوطانهم في الأحزان والأفراح ، والمراث والانتصارات . وقاموا وتقدوا على آمال مشرقة وخيبات مغيرة .

ومع ذلك فقد منعوا بلادهم مدرسة أدبية فريدة وفجروا في المهاجر وفي المواطن مشاعر قومية أصيلة ، أقوالاً وأعمالاً ، خلال خمسين سنة من أوائل هذا القرن . وأرسلوا إلى أهلهم مليارات من الأموال كانت بالواقع جزءاً لا يتجزأ من الدخل القومي العام الذي ساهم في رفع مستوى المعيشة في قرى ومدن كبيرة كبرى وصغيرة . ولم يكن شعر المهر وحده الذي يبلغ الأوطان ويثير المشاعر والمخيلات ، بل كانت الوف الرسائل الصغيرة تصل كل عام ليقرأها تحت ضوء قنابل الزيت والكار في القرون النائية وازنة المدن الخلفية ، الوف المواطنين التوأمين مع أهلهم برسائل الأسواق والأحزان .

لقد منعوا كثيراً ولم نمنعهم شيئاً . لم ينسوا أصولهم إلى الحد الذي يزعمه المتعون ، بل نحن في المواطن قد نسيناهم . ومنذما يخطر لنا أن ننكر لهم ، في شأن انشاء مدرسة عربية ، لا زوال منه دين قرون نشامل كانوا أذكياء : من يبدأ؟ هم أم نحن؟ .. من بدأ .. هم أم نحن؟

لا يمكن أن تؤلف مجرة جديدة ، على هذا المدى الفريد في التاريخ الحديث . لقد كانت المجرة رمية الدار . ومن ذكاء السياسة أحياناً أن يتحالف الإنسان مع أقاربه . عندما يكون هذا التحالف فاما لا يجدياً مخصوصاً .

ثانياً - من عجيب أمر هذه المجرة ، أن الابناء والاحفاد ، الذين هم أرجنتينيون بالوليد لا بالجنس ، يستيقن جميع منهم على (شرف الانساب) ، فإذا بهم أكثر احساساً بقضية الوطن الذي تحمل أبواؤهم وأجدادهم منه . ولهذه البقظة الروحية أسباب ، أهمها : ثقافة الاجيال الجديدة من جهة ، وبراءتهم من مركب التّنفس والاضطهاد من جهة ثانية . وعلى التقىض كان أبواؤهم وأجدادهم نقراء أسماء مصابين بذلك المواطن التي هجروها ، يشعرون بالاضطهاد ، سواء في ذكر المواطن ليسوا سوى طالبي أمان ورُزق ، ونسّيان أيضاً . ولكن يجب الا ننسى مع ذلك ، أن الدفقة المهاجرة الثقافية في اواخر النّاسع عشر وأوائل المُشرين ، مما معنا فيه ، قد صدرت عن هؤلاء التّرخلافين الاميين الذين ، كما يقول بعضهم ، (هلمتهم فربتهم الوطنية) ، والذين فهموا اسرار اللغة ، في المهاجر ، ودرسو التاريخ ، وأعطوا الادب العربي حياة جديدة .

ان المستيقظة مشاعرهم من الاجيال الجديدة ليسوا كثيرين بعد ولكنهم قلة تدل على وجود البنابيع في الأرض المميقة .

قد يكون ارتئاد بعضهم إلى البنابيع نموذجاً أمريكيّاً لاتيناً شالماً في التقىض من اصالة ، من عراقة ، من جذور عميقة . ولكن من المؤكد ان الارتئاد الى منابع النّسب العرب ، من طريق الدين ، او من طريق اللغة والتراث عامة ، يحمل شعوراً عميقاً ، غير مزيف بشهوة التقىض من (مظاهر) الاصالة وحدها .

حتى الارجنتين نفسه من مدرسة (الفاوتشو) يتجاوز في نظرته الى المنابع ، موسوعة الدراسة التاريخية ، والبحث العلمي ، ويعتبر وجود (الفاوتشو) في الاصول مسألة ثقافية اخلاقية .

مقررة على مراحل ، تشارك في تعويمها الدول والجماهير معا ، في المواطن والمهاجر ؟

ابها الاخوة في المكتب الدائم لتنسيق التعرب ارجو معلديني اذا استطردت من الجواب من اسئللة استفتالكم الى الخوض في تفاصيل الوضع الاجتماعي والتقانى العربي في المهاجر . وفى رايى ان هذا التفصيل ملزوم لجوهر القضية ، لأننا اذا طمعنا الى بعث اللغة العربية خارج حدود الوطن العربي ، وجب علينا ان نعرف ما هي الشروط الاجتماعية والثقافية الكائنة والتي يجب ان تكون ، لتصبح مطامحنا اكثرا من امنيات وابعادا من مجرد (دراسات) .

احبكم واشكركم واسع نفسى ، ما دمت فى هذا المهاجر ، صاحب مسؤولية ، تحت تصرفكم فى كل ما يخدم الاهداف السامية التي تعملون فى سبيلها .

بستوي في اهمال المفترضين جميع المواطن العربية بالإضافة الى المواطنين الاساسيين : سوريا ولبنان . والا نكيف نريدهم ، للغة والترااث وللسطين ، وننظر الى واجبات الدول العربية ازاءهم كوحدة ا ايضا لنشرهم حقا بانهم اصحاب حقوق واصحاب ثبات معا ؟

لماذا - مثلا - لا يشترك كوبني في مساعدة مدرسة وسعودي في ترميم كنيسة ، وليبي في انشاء جامع ؟ لماذا لا يدعى كاتب سوري الى المغرب او طبيب لبناني الى اليمن ؟ ولماذا لا تستفيد من خبراتهم ونحن نركض وراء الاجانب من أصحاب الخبرات ؟ ولماذا لا نقيم لهم حلقات دراسية وبیشات جامعية .. وجولات سياحية ؟ والخ الخ الخ .

بل لماذا لا نبدأ على الفور بتشخيص جزء من دخل سندوق الدعوة العربية لتعليم اللغة العربية ونشر آدابها وتراثها ؟ ولماذا لا نضع خطة مليبة



تحديات في وجه اللغة العربية التبشير واللغة العربية الأستاذ أنور الجندى

(القاهرة)

واجهت اللغة العربية منذ أوائل العصر الحديث تحديات خطيرة جائرة من خلال النفوذ الاستعماري الذي سيطر على العالم العربي ، ورأى في اللغة العربية عاملًا من العوامل الخطيرة التي تعارض ثبيت قواعده . ومن هنا فقد هدف النفوذ الاستعماري إلى عملين خطيرين :

أولهما : تجميد اللغة العربية من التوسيع في العالم الإسلامي
ثانيهما : توسيع نطاق اللغات الأجنبية وتشجيع الهجرات المحلية
وقد كان المخطط التبشير الذي تهدفه الاستعمار في العالم العربي أقرب الواقع في هذا المجال

الدعاة إلى العامية ومدير دار الكتب بالقاهرة يختار أن يعيش في حي وطني « لكي يستقرى العامية من منابعها الأصلية ولا يدون إلا ما يسمعه » ثم يدون ما يسمعه باذنه على كم قيمته خوفاً من أن يلاحظه أحد المتكلمين فيفقد طبيعته وحرفيته في الكلام »

وقد شغل مدد من هؤلاء الإجانب بأمر « العامية » المصرية واهتموا بها ولفوا عنها وفي مقدمتهم ولهم سببها ، وكارل لولرس ، وسلدن ولمور ، ووليم ويتكوكس . وقد بدأ ذلك منذ 1880 واستمر حتى عام 1926 تقريباً .

وفي خلال ذلك كان لطفي السيد وقاسم أمين وسلامة موسى قد حملوا لواء هذه الدعوة لم يصل ذلك بالدعاة التي دعاها عبد العزير فهمي عام 1941 عندما نادى بالكتابة بالحروف اللاتينية هذا في مصر وفي الغرب تولى كولان ومن بعده ماسينيون لواء هذه الدعوة وفي لبنان ظهر كثير من الدعاة إلى الحروف

فقد وجه التبشير إلى اللغة العربية حملة ضخمة قوامها حقيقة أساسية هي أن القضاء على القرآن مصدر الإسلام وقانونه الإسلامي يتطلب القضاء على اللغة العربية الفصحى ولما كان التبشير والنفوذ الاستعماري لا يستطيعان أن يكشفان هذه الحقيقة مراجحة فانه اخفياها وراء كل خطوة اتخذها بشأن الدعوة إلى العامية أو مهاجمة اللغة العربية وانتقادها أو الدعوة إلى الكتابة بالمعروفة اللاتينية .

وتكشف جميع النصوص التي بين أيدينا على أن هذا الفرض الدفين واضح في مقل كل من يتصدى لهذا الفرض ، ويبعد خطر الدعوة إلى تعليم اللغة العربية وافتتاحاً حينما نرى أن مددًا كبيراً من المبشرين والمستشرقين قد تصدوا للكتابية في هذا الموضوع واتقاوموا من أنفسهم خداماً لهؤلاء الغابة لا يرون بأساً في التخلف وتغيير شخصياتهم في سبيل تحقيق ما يريدون ، حتى أن « ولهم سببها » أول